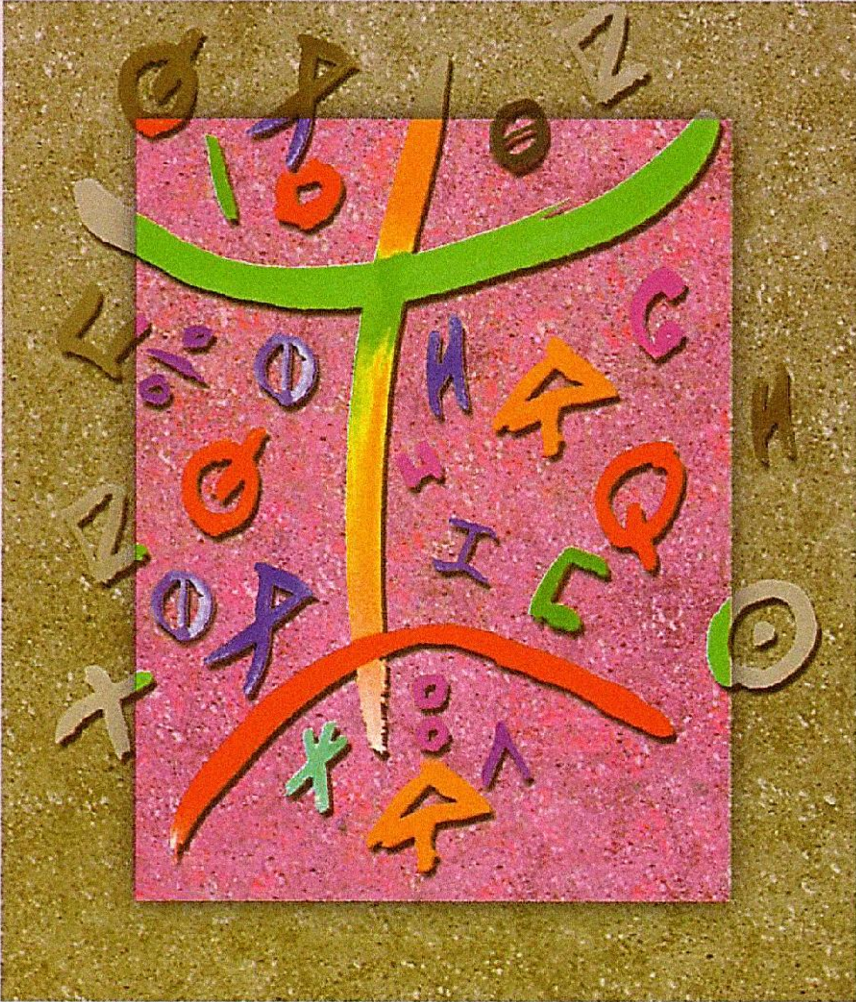
دفاتر وجهة نظر (23)

أبحاث في دين الأمازيغ

روني باصي
René Basset



ترجمة وتقديم: حمو بوشخار

دفاتر
وجهة نظر
23

أبحاث في دين الأمازيغ

روني باصي
René Basset

ترجمة وتقديم :
حمو بوشخار

تنويه

الى أخي لحسن على روح تاويزي التي تميزه
الى الاصداقاء الذين شجعوا على أن يرى هذا العمل النور
أهدي هذه الثمرة

للمترجم
- الكتابة والموت، جماعي، مكناس 1998
- عودة المختلف، اختبارات نقدية، الرباط 2004
- Amlala d ixfawn nnx، IRCAM، 2010
دراسات بالامازيغية

- أبحاث في دين الأمازيغ روني باصي
- المترجم: حمو بوشخار
- التصميم والغلاف: طارق جبريل
- الناشر: دفاتر وجهة نظر

- طبع من هذا الكتاب: 8000 نسخة
- الإيداع القانوني: 2284 MO 2011
- ردمد: 2850 - 2028
- الطبعة الأولى: 2012
- السحب: مطبعة النجاح الجديدة

الفهرست

دفاتر وجهة نظر

المراسلات:
ص.ب: 2111 حي الرياض - الرباط
الهاتف: 0537561225
0663707106

e-mail:
abdellatifhousni20@yahoo.fr

تقديم المترجم

الأمازيغ: تاريخ معاناة عبور آلهة

Ils acceptent la religion des autres,
Juste pour leur faire de la charité.
Driss Ksikes : il, 2010, p 26

سيمر قرن على صدور هذا البحث في طبعته الأولى من طرف الباحث الفرنسي روني باصي René Basset في سلسلة تاريخ الأديان[1] ؛ إلا انه من الناذر أن تجد له ذكرا في أبحاث علم الاجتماع السياسي ، حتى ان السكوت عنه لن يعود سوى لعنوانه التأسيسي ، لكونه يتحدث عن دين الامازيغ بالضبط ؛ وأما المحتويات فتوفرها جملة من المتون القديمة ، وان بشكل متفرق ، يحرمها من أن تشكل عنوانا واسما مستقلا على النحو الذي قام به باصي ؛ التدين الامازيغي سيكون إذن شأنا محرما التطرق إليه على غرار ثقافتهم التي ظلت تكابد وتعاني الإقصاء مادام أنها كانت مدفوعة لكي تخرس حتى تفنى وتزول وينتهي أمرها خاصة وقد اعتبرت "ميتا"[2] أو أقل أي

1- RENÉ BASSET: RECHERCHES SUR LA RELIGION DES BERBÈRES. PARIS. ERNEST LEROUX, ÉDITEUR. 1910

2 ع . حمودي : الشيخ والمريد ، توبقال ط 4 ، 2010 ، ص . 156 ، 159

مجرد "ابتكار"، وهذا تناقض مفضوح يكشف عن خلفية الصراع المبكر القائم بين من سيرفعون نفسهم "وطنيين" لأنهم متعلقون "باللغة العربية الفصحى وبالإسلام"، وبين من ابتكرتهم وبعثتهم الإدارة الاستعمارية بعد أن كانوا مواتا، لتجعل منهم شعبا وتمنحهم "ثقافة شعبية"، لتتبدى أن هذه المقابلة ماكرة، والميت الذي أمامنا هو نتيجة عملية قتل كان يرتبها من يرى أن هذا البعث سيشكل له (تهراس الراس)، ومنافسا لمن يجاهدون في سبيل النهوض "باللغة والديانة" التي تتبعها، لذا لزم إبعاد ما سيبلبل أي الأمازيغية ومعها قطار المعتقدات الذي تتحرك به، لكن يبدو أن محرك المقاومة مكث مشغلا بسرية وبصمت وبمتاعب أحيان كثيرة، وأداتها في ذلك معانقتها للحياة ولا شيء غيرها، من غير نسيان أن سؤال "الاعتقاد بإله هو شيء، إلى هنا، من حق كل الحضارات، وكل المجتمعات البشرية"[3] وبالتالي ليست هناك حاجة لانتظار من يحمل أو يصدر معتقداته للآخر، وأكثر من ذلك يستبد في تكريسها وفرضها بالقوة؛ فالمجتمع الحديث والمعاصر بحسب نانسي لم يعد يعتقد بالله مطلقا باستثناء الأشخاص الذين يوجدون داخل واحدة من الديانات بفعل غياب هاجس القلق الذي يميز أنسان الوقت الحالي، فهو قلق فقط لسعيه الانفلات على الدوام من الحدود التي صارت معتادة ومألوفة

3- J-L Nancy : Dieu la justice l'amour la beauté, Quatre petites conférences, Bayard, 2010, p 37

عنده ومترسخة[4] كذلك في الغالب .

نصيب من يحلل ومن يعيش :

الجرد الذي قام به باصي لحصر ورسم مسار المعتقد والطقوس التي مارسها ئيمازيغن أساسي ومذهل بسبب الكثافة التي ميزته ، وكذا الكم الهائل من الممارسات التي عاينها بل وأسرته لتنتهي به إلى تركيب مؤلفه ،ليستحق بذلك أن يعتبر مؤسس الانثربولوجيا الدينية ، التي ستركز على البحث في أصل الأديان ، ومن غير أن ينكر الصلة التي تربطه بعلم الأديان المقارن[5] ؛ الكتاب بتأرجحه بين المجالين أثبت فرادته لكونه اعتنى من جهة بالوقوف على العناصر المحلية التي ستقوده للتأسيس لما سماه دين الأمازيغ ، ومن جهة أخرى ، عمد إلى مقارنة نص ها-ميم أي قرآنه المؤلف بتمازيغيت مع نص قرآن تلي بلسان عربي ؛ ليبقى تراكب الأصوات متراوحا بين التطليق والربط ؛ ففي البداية هناك حاجة لإيجاد كتاب للقبيلة الموسعة التي ينتمي اليها ها-ميم على غرار الآتي من الشرق ومن تم تشبثه بأن يكون بلسان من أتى إليهم ، مادام أن القادم أرسل بلغة قومهم أي العربية ؛ وفي مرحلة تالية ، نجد الربط في حدود ، نحو تشابه السور في تسميتها بأسماء أنبياء وحيوانات ، الأمر الذي يجد تصنيفه ضمن تناص النصوص

4- Heidegger : Introduction à la métaphysique, p 158

5- بسام الجمل "المقاربة الانثربولوجية للسيرة النبوية" مقدمات ، فصلية ع 25 . خرف 2002 ص 27

الذي يهم مواصلة حوار داخلي من نص إلى نص[6]، وهو الحوار الذي يدخل في إطار "دينامية إعادة كتابة" السور، سواء بالاقتفاء كما قد يظهر من وضع أسماء الأنبياء على رأس سور، أو بالتغيير كما قد يلاحظ مع إلغاء الآذان أو إقامة الصلاة؛ نص تمازيغت سيدرك أنه لن يكون سوى ثمرة النصوص التي سبقته، أي أنه نتاج آلة التناص التي تهيكل النصوص حتى لو جحد نص ما وأنكر صلته بالآخرين وعمد إلى طمس أقوالهم كي يجعل لنفسه نسبا مفارقا، وإذا ألغى القول بوجود أي تأثير فلأجل المساهمة في بناء أنظمة ومتون مغلقة[7]؛ هذه العلامة الدائرية متواصلة باطراد، ومنتظمة في سيرورة تتلخص في التغذية على السابق، أولا باستهلاكه، وثانيا بمنح ميلاد لمخلوق هجين؛ وبكلمات على طريقة نهاية قصص بورخيس، يكتب فتحي بن سلامة "ثمة دائما حلم جوهره قديم أصبح فجأة جديدا.

وهناك من حلم من أجلك منذ زمن طويل وانك لتأويل لهذا الحلم"[8].

لقد نُظر لكتاب ها-ميم على أنه تقليد لنص الإسلام، لكن هذا الأخير نفسه لن يفلت بدوره من مثل هذا الحكم، من نحو الوقوف على أن المسيحيين كانوا مجددين باختراعهم الإله-إنسان

6- Frank Wagner « Du structuralisme au post-structuralisme » Études littéraires ,Volume 36, numéro 2, 2004, p. 105126-

7- A. Filali Ansary « le sens de la nuance » Prologues, n° 25- Automne 2002, p 27

8- فتحي بن سلامة : ليلة الفلق . محمد والبيان الاسلامي ؛ تر . البشير بن سلامة ، منشورات الجمل 2005 ، ص 189

Dieu–homme ، في الوقت الذي اكتفى القرآن باقتباس محتوياته من الإنجيل والتلمود ، وعبر عنها بلغة شعبه أي بعربية أنيقة ومغرية وأكثر شاعرية[9] ؛ ارتباط نص بنصوص سابقة يسحب منه بطاقة ادعاء العذرية (!) التي تكشفت أنها مسألة تقنية لا غير وقابلة للبيع والشراء ، ولكن بالمقابل ما تزال متداولة في المجتمعات المكبلة بالثمن الذي يجب دفعه لمن سلم بها لحظة ؛ مع هذا الارتباط الخاص بالنصوص لن يكون هناك امتيازا لأي صيغة من الصيغ الثقافية[10] القائمة لاستنادها غالبا على سلطة تثبتها وتدعمها ؛ فالسبيل الذي تم إتباعه بالنسبة للمغرب كان متشددا من دون مساومة لأجل فرض عقيدة توحيدية لعموم الساكنة[11] ؛ ليبقى العنف الأداة الضرورية لترسيم الصيغة المتفشية ، في حين أن الشرعية هي شرعيات تضم التي ُردت والتي ُدفعت لتصمت من قبل شرعية أكثر سطوة ، لها كل الأسباب لتفرض نفسها ''أكثر إنسانية وأكثر حقيقة من الآخرين''[12] ، فغاب عن الأذهان التساؤل عن كيفية حيازة هذه الشرعية ؛ بعض عناصر الإجابة تأتي من كون الإسلام هو دين محاربين مأخوذين بقرار الانطلاق إلى غزو العالم[13] الذي لن يفسر سوى بالحرب[14] ، وهي

9- Daniel Sibony « Admettre le Dieu de l'autre » le nouvel observateur 25 dec 20037-jan 2004, p 48

10- الدين في عالمنا ، تحت اشراف ج . دريدا وج . فاتيمو ، تر . م . الهلالي ، ح . العمراني ، توبقال 2004 ، ص 96

11- Clifford geertz : observer l'islam, éd. La découverte 1992, p 30

12- Arkoune « horizons ... » Prologues, n° 25- Automne 2002, p 148

13- Hamadi Redissi « weber et l'islam, d'hier à aujourd'hui » Prologues, n° 25- Automne 2002, p 52

14- G. Bataille ; Œuvres complètes t. vii, p 255

ان لم تحقق التدمير الشامل أبدا فقد أحرزت انتصارا مهولا أوصل إلى ما نعتته حياة عمامو بأسلمة بلاد المغرب ، إذ أنه بالرغم من أن الأمازيغ "كانوا ككل الشعوب القديمة يملكون آلهة خاصة امتزجت بآلهة الشعوب الأخرى ، كما كان لهم طقوسهم التي يتعاملون بها مع الطقوس الأخرى بنفس التداخل والتمازج وهو من عمق المعتقد البربري ورسخته"[15] ؛ فهم اليوم بمثابة مهاجرين اختبروا مرة إغراء الغيرية فصاروا مستعدين للخضوع التام ، لأديولوجية الإسلام والمحاربة باسمها ؛ لقد اتحد المسلمون الارثودوكس ، عربا وأمازيغ ، للقتال ضد بورغواتا الذين استعملوا الأمازيغية كلغة تبشير[16] ، والذين دافعوا عن نهجهم الديني بالوسائل التي امتلكوها حينئذ ولمدة أربعة قرون إلى أن اجتاحهم المد الموحدي ، لتتم إبادتهم وكذا الاستيلاء على بلادهم ، فأجهضت حركتهم التي سعت لاستقلال شخصيتهم[17] ، وإن غالت في التشديد ، بخصوص الممنوعات الأكلية أكثر من التي حرمها القرآن ، وهي تهم في الغالب سلوكيات منتشرة الاستعمال والاستهلاك ، ولا يمكن بأي حال ادعاء تركز هذه الممنوعات وتأصلها[18] في من ستفرض عليهم تاليا ، ما دام الخلق مجبر على اعتناق إبداعهم لتفادي تعرضه

15- حياة عمامو . أسلمة بلاد المغرب ، دار أمل للنشر والتوزيع ، 2004 ، ص 22 ؛ سيوجد دائما من من سيفرق بين بين علامة بربري وأمازيغي ؛ فما السر في أن يجعل منهما لفظان متعارضان؟ (ع . حمودي : الشيخ والمريد ، ص 153) بربري هو تمييز لمن يحمل لثاما كما درج على ذلك أمازيغ الصحراء في حين انسحبت علامة أمازيغ على من لم يكتو بحرها

16- Bernard LUGAN : Histoire du Maroc, des origines à nos jours, Perrin 2001, p 97

17- Mohand Akli Haddadou : le guide de la culture berbère, ina-yas 2000, p 51

18- مولود عشاق . حركة المتنبئين بالمغرب الأقصى خلال العصر الوسيط ، الاحمدية 1999 ، ص 41

للقتل[19] ؛ ولأن الدين لا يترسخ في ضربة واحدة ، سينتهي إبداعهم مع مرور الوقت ليكون أصيلا ومناسبا مع سلوك الذين قبلوا به وهو ما سيتوافق مع ما اقتنع به صالح بن طريف إذ "لا يعد التعاليم هرطقة أو بدعة بل هي ديانة أصيلة تأقلمت مع عقلية الأمازيغ"[20] وتبعا لذلك يكون صالح قد منح البورغواثيين دينهم الوطني[21] ، في مجال يتسم بتنوع الديانات الممارسة ، مقتسمة إياه من غير أن تخلق أزمة سماوية لاتسام الوضعية الدينية في المغرب بالتعددية ، حتى أن تعدديتهم ، هي إجابة بالنفي عمن سيسأل تاليا : " لكن للتفاهم هل يلزم وجود نفس الله عند الجميع ؟"[22] فيما الجواب بالإيجاب فسيتم باعتماد الاستبداد الدولتي الذي عمل على تهريب الحقيقة ، بتفريدها في مقاطعته لنفي كل اختلاف أو تعدد وذلك "بحجب التنوع الكبير الى أبعد الحدود للذاكرات الجمعية ، وللجماعات الاثنية الثقافية والمناطق ، والبيئات المحلية واللغات ، والهويات الانثربولوجية للشعوب وطموحاتها ومطالبها واحتجاجاتها ، التي تتعرض للتجاهل والتلبيس في أشكال التخليط والوعود الديماغوجية التي تقدمها الخطابات الرسمية"[23] .

19- Brett « the islamisation of Morocco » Moroccan Studies, Volume 2, 1992, p 66

20- ج . دراك "مجمل التاريخ الديني للمغرب" علم الاجتماع السياسي . السنة 4 ، ع . 13/-14 1991 /1992 ، ص 87

21- م . الطالبي - إ . العبيدي . البورغواطيون في المغرب ، تانسيفت 1999 ص . 13

22- Daniel Sibony « Admettre le Dieu de l'autre » le nouvel observateur 25 dec 2003-7jan 2004, p 48

23- محمد أركون جوزيف مايلا : من منهاتن الى بغداد ، ماوراء الخير والشر ؛ ترجمة : عقيل الشيخ حسين . الساقي ط 1 ، 2008 ، ص 104

ستعمل الجيوش المتحمسة للوحي القادم من الشرق بما هو معنى ملغز على إقفال عينها عن المنتوج المحلي ، ليبدأ العمى عن كل ما يمس بلاد المغرب بالتخلي عن التساؤل عن تاريخه الخاص منذ القدم والاكتفاء بإغراق "مشاكله الشخصية تحت الأحلام الاستيهامية للأمة العربية"[24] .

الحملات التي استهدفت المغرب لنشر الإسلام ، اعتمدت سبيل الجهاد باعتباره رهان حرب إيديولوجية عاجزة عن الإقناع بالعقل والحوار وإنما باستعمال السلاح أي "العنف والمكر والاغتيال"[25] ؛ فهو من سمح له بالانتصار وفرض دينه ، خاصة وأن الجهاد بما هو معركة في سبيل الله ، موجه ضد شمال إفريقيا باعتبارها أرض وثنيين ومنشقين دينيين[26] ، بحجة افتقارهم لكتاب منزل على غرار ما يوجد عند اليهود والمسيحيين الذين سينسحب عليهم اسم الكفار فقط ما داموا قابلين للتصنيف كأناس دين كتابي ، ويبقى الوثنيون الأمازيغ ضحية فهم ضيق ومغلق ميز الجهاديين بكل أصنافهم ، سواء في ذلك من ركبوا الخيول أو حملوا الأقلام وعلى كل العصور "فالمثقفون لا يتميزون مطلقا عن علماء الدين عندما يصرون على الدفاع عن الوجه الحقيقي للاسلام المقدم على أنه لاتاريخي"[27] ما داموا قد أهملوا

24- M. Arkoune « horizons et taches de la raison islamique » in la Raison et la question des limites, le fennec 1997, p 136

25- A-M Delcambre : l'islam des interdits, Desclée Brouwer, 2004 p. 21, 101

26- J. Delumeau « le choc » le nouvel observateur 25 dec 20037-jan 2004, p 6273,

27- محمد أركون جوزيف مايلا : ن.م ؛ ص 137

الجانب الذي يمس الطقوس التي استأنسوا بها وآلفت بينهم ؛ لقد عموا عن أن الطقوس قرينة كل شعوب المعمور ، ومن غيرها لن تقوم قائمة لمجتمع أو مؤسسة[28] ، وثيمازيغن ليسوا استثناء ، حتى أن كتاب روني باصي ، أبحاث في دين الأمازيغ ، الذي يتم نقله هنا لأول مرة الى العربية دليل على انهم اخترقوا بالعديد من الاعتقادات والطقوس التي بنينت زمنهم التعبدي .

كي يكون الارتباط بالإرث سليما يجب ألا يمر بالتلقين الذي لا ينتج سوى مشردي الميتافيزيقا (هبرماس) ، وإنما عن طريق النقد والاستفهام بما لهما من مزية تحفظ من الوقوع في التصلب بفعل التمسك بلائحة التحريمات العلنية والضمنية التي لا تحد ؛ الشيء الذي لم يحدث أبدا ، وبدلا من أن ينتهوا إلى ''الارتياب من أن الله موجود''[29] قصدوا إلى التشكيك في أنفسهم كما لو تحقق في الزمن لشعب أن هبطت عليه الحقائق من السماء جاهزة بالتمام[30] ومن هنا كانت الحاجة للتساؤل .

شفاء الدم ملح :

من جملة الطقوس التي تتكرر في المحيط المغاربي يلفت الخاص بالدم izughan النظر ، لما يحظى به من عناية لأنه يقابل الروح عند

28- J. Derrida : Passion, Galilée 1993, p 12
29- Clifford Geertz : Observer L'islam, la découverte 1992, p 76
30- Heidegger نفسه ، ص 51

القدماء [31] ، الأمر الذي يرقى به ليصير علامة بما هي تركيب تصور وصورة سمعية[32] ؛ ومثالنا هنا سيركز على تصور الدم الذي يدل على رابطة قبلية أو قومية[33] ؛ إلا أنه ، ككل تصور ، يحتوي على امتداد[34] ؛ عند مناسبة فتك ما ، وليكن نهار الذبيحة السنوية عند ئيمازيغن والذي سيتفق تاليا مع العيد الكبير الخاص بالاسلام ، وأمام وجود الدم المراق لن يكون أمر تخطيه ممكنا من غير إحضار الملح ليذر عليه ؛ تكرار هذه العملية آليا هو ما يجعل منها طقسا بات غير مفهوم اليوم في الغالب ، لأنه خرج عن السياق الذي ولده ، فصار محط تقدير ومتعاليا حين رمى إلى "جعل لجنون يهربون ، لتدل هذه الحركة أن دم الضحايا المخصصة لله ممنوعة عليهم"[35] ؛ مسألة المنع التي يعلي منها نص الطقس واردة ، فقط أنها لا تعني لجنون (ج . جن في الدارجة المغربية) ، وإلا فقد الاعتقاد محموله ودلالته المهددة بالطمس إن لم تكن دخلت باب المجهول ؛ ما لن يتم ذكره ، أن هذا الدم المراق يمنع كليا المرور فوقه من قبل الأحياء صغارا وكبارا كيفما كان جنسهم ؛ أذكر أني حين كنت أرافق أمي كانت تنهرني إن لم تسحبني من

31- EDMOND DOUTTÉ: MAGIE & RELIGION DANS L'AFRIQUE DU NORD: ALGER1909: ; p 85

32- F. de Saussure : cours de linguistique générale, Payot 1997, p 99

33- M. Chebel : dictionnaire des symboles musulmans, Albin Michel 1995, p 376 sang / مدخل: الدم

34- A. Lalande : vocabulaire technique et critique de la philosophie, V 1, 4 éd. puf 1997, p 161

35- Hassan Rachik « l'autre sacrifice : étude sur la division sexuelle des rôles rituels dans une tribut du Haut-Atlas » in le maghreb : Approches des mécanismes d'articulation, édité par : R. Bourqia et N. Hopkins, Alkalam 1999, p 122. EDMOND DOUTTÉ: MAGIE & RELIGION DANS L'AFRIQUE DU NORD: ALGER1909: ; p86

مكان وجوده كي لا أرتكب المنهي عنه ، الذي سيكون هنا العبور من فوق الدم ؛ وحين أستفسر عن سر المنع تكتفي بالرد أنه (ؤر ئزيل/ ليس جيدا) ؛ لأبقى على حرمان معلق ومزدوج ، خاصة وأن الأرض قد طوتها قبل أن أعثر على بعض جواب ، هي إمكانية فهم لهذا الطقس ، الذي تحول لاستعارة منطفئة ، بفعل غياب وجود كتاب يشمل أساطير الأمازيغ يمكن الاستئناس به لإضاءة سياق ما يجول منها عند الحاجة ؛ في هذا المقام لم يبق سوى الدال في حين أن الدلالة باتت غارقة ، فلزم المسك بما تبقى منها بارزا ، وطبعا بالاستناد إلى العلامات التي تكتب الواقعة ؛ الخطوة الأولى ، ظننت أستطيع إثارة الطقس إن أقدمت على انتهاك المحرم ، لكن لاشيء انبثق أو انبعث من وراء ما اقترف ، وربما لم يكن ليلتفت لما أتيته خاصة وأن الطريقة موروثة عن الأجداد الأوائل[36] وصارت ظلا يستحيل على صاحبه القفز عليه فيما سيقول صاحب مدخل للميتافيزيقا ، فكانت ضرورة اتجاه وجهة أخرى تخلص لجنون من الورطة التي حشروا فيها ، وتبعا لفتجنشتين : لا نستطيع أن نمنح لعلامة معنى غير سوي[37] ؛ فبدلا من الاستمرار في ربط الدم ، الذي اعتبر في مرحلة ما يوحد ئيماريغن ، بمنع لجنون منه بالتركيز عليه بما هو قيمة ، حدثت ومضة وانكشف السر والمفتاح الذي اعتلاه الصدأ ، إذ عاد لا يدل على شيء ، لأن التفكك الذي

36- ع . القادر جنلول : مقدمات في تاريخ المغرب القديم والوسيط ، تر . فضيلة الحكيم ، دار الحداثة ، ط 1 ، 1982 ، ص 21

37- Ludwig Wittgenstein : Tractatus logico-philosophicus, Gallimard 1993, p 83

استهدف وحدة المجتمع الامازيغي ، وكذا المؤسسات التي ينهض عليها ،لن يعفي أعرافه وقوانينه مادام أن العلاقة التي حكمت الدولة بالمجتمع المحلي جبائية بالأساس[38] حتى أن الاستعمار ذاته لم يزد شيئا سوى الاقتداء بها حين أرسى السكك الحديدية والموانئ والبنوك[39] ؛ الشيء الذي ترتب عنه إضعاف المجتمع وإنهاكه ؛ وما ساهم أكثر في تأزم هذا المجتمع هو تحامل النخب السياسية والثقافية حين "اعتبرت القبيلة معطى نكوصيا يعطل البناء الوطني"[40] .

فالدم ببساطة سيكون ما يربط ،وكي يكتسب مناعته تلزم حمايته والحفاظ على عدم هدره ونسيانه وإلا تكبدت الجهة التي فقدته خسارة كبيرة ؛ هنا سيكون للتحالفات (تاضا) دور أساس للتقليص من حظوظ إضاعته ليصير التزاما يحتاج ،في حال ارتكاب جريمة ضد فرد من العائلة ،لمن يفتديه ، وكي يتم حفظ عهد تجاهه يدخل عنصر آخر لا يقل فعالية في منع الدم من أن يجف ويصير علقة مهما طال الوقت ، وللقيام بذلك يتم نثر الملح فوقه كي لا ينسى أمر من ساح دمه ما لم ينل الجاني جزاءه ، وحين يذرى يلغى مفعول إفساده بالمشي فوقه ؛ للملح في هذا الطقس دور وقائي من كل ما يمكنه أن يؤذي أو يتسبب في الفساد ؛ مطاردة لجنون حال يعادل الالتزام أي عدم الخيانة وبالتالي التنازل ما لم يوضح أمر الملف الخاص بالعداوة ؛ إن نوعا من

38- م . نجيب بوطالب : سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي ، بيروت 2002 ، ص 117
39- Clifford Geertz , p 79
40- نفسه ، ص 161

الطهارة يلازم الملح ، ويبدو لن يستطيع فكاكا منها بفعل ترسخ الاعتقاد في الأذهان التي نشأت على ذلك ، وغير مستعدة للتخلي عنه هكذا ؛ تلقائية طلب الملح من قبل الجزار جعلتني أنتظر ما سيقوم به ، فإذا هو يطلي الذبيحة في المكان الذي اتسخ ، هذا في الوقت الذي يمكنني ان احضر الماء لانجاز فعل التطهير الذي استعمل فيه الملح ، فيطلع الفرق من كون ان المقدس متأصل بقوة في بنية الوعي الثقافي الشعبي وحتى النخبوي مع بعض الاحتراز ؛ الإبقاء على المقدس هو الحيلة الأخيرة على ربط الإنسانية[41] بأن تظل على عبوديتها ، فالمقدس يلزم أن يكون متحولا ومترحلا ، وليس مستقرا خانقا ؛ فيما دينامية الغرب تعود لقدرته على المفاجأة ، بإبداع مقدسات غير مسبوقة ، تستعصي على الإدراك ، بانجازه قفزة التخلص حتى من سطوة الوعي بتعليقه ، لذا لن ينتظر من سيقرر له أنه في حاجة إلى ''جرعة كبيرة من المقدس لإحياء القيم والرموز والمعاني الماضية''[42] ؛ حضارة الغرب غير مستعدة للتقيد بوصفة لم ينتجها مختبره .

انتشار الدم يشكل هاجسا في كل المجتمعات ، ولن نقتفي كل آثاره ، سنكتفي بالقول أنه حيث يوجد دم يسيل يكون مهددا بأن تسرقه لجنون لحبها له ، ولا سبيل لطردها بالشرطة ، ما دام أنها أشباح لا تتوفر على حسن السيرة ، وإنما بالحديد نحو السوارت (مفاتيح)

41- علي أسعد وطفة ''البنية الرمزية والاسطورية للمقدس :حضور المقدس وانحساره في الثقافة العربية المعاصرة'' إضافات ، ع -8 خريف 2009 ، ص 45

42- نفسه ص 55

التي تتم قلقلتها عند رأس المغمى عليه لاستدراك وعيه أو الملح[43] كما سبق ذلك .

ثمة مجال آخر يدخل فيه استعمال الملح بذريعة طرد الجنون من قاعة درس الحبوب[44] أي قبل أن تباشر عملية الدرس التقليدي التي تركز على ربط صف البهائم التي ستدوس على أكوام السنابل المتراكمة وتأخذ طريقها لتفصل عن التبن ؛ ثمة تقاطع يقوم بين القمح والدم عند مقارنتهما وإن بدا دقيقا ، وهو الذي يجتمع عند كونهما مصدر حياة ، وإذا لوثا فالنسل تيتم ، بمعنى أن المواجهات التي تكره المجتمع القبلي لخوضها قد تؤجل حصول السلم بما أن العنف هو أس مطرد في حياته ؛ فالملفات المعلقة منها ما يحتاج إلى انتقام دموي[45] كي تصفى ، لذا يراه ثيفات بريتشارد كعنف ممأسس ، لقدرته على ضمان توازن داخلي ، لكونه طريق خلاص لمجتمعات الأطلس الجبلية ؛ خطاطة سفك الدم والإبقاء على حيويته إلى حين ترميم الخرق كي يعود نهر السلم لمجراه يقوم على توازن في صعوبة استمرار ، خاصة وأنه بعد كل اضطراب يقع في الاستبداد المحلي يليه استقرار النظام الديمقراطي ، الذي يدخل ضمن الثقافة السياسية للأطلس الأمازيغي (Orlov) ؛ لذا لن تكون واقعة نثر الملح أمرا عابرا كونها تقليدا عريقا

43- David Montgomery Hart: the Aith Waryagher of the Moroccan Rif, 06 Beliefs and legends, p 156

44- H. Rachik, p 132

45- Orlov, Vladimir V., 'Despotisme non despotique. Tribu, état et Islam au Maroc alaouite (mi-XVIII – début de XIX siècle)', EJOS, II (1999), no. 2, 113-.

بات اليوم في انحسار بفعل تطور التشريع والتقنية ، إلا أنها امتلكت تاريخا ككل الوقائع الدينية[46] التي لا يمكن تفسيرها إلا في إطارها الاجتماعي التاريخي الذي منحها النور ؛ فالمسألة لن تزيد عن ارتباط ضيق يهم الخلية التي وقعت عليها النازلة أو الخسارة وذلك في حدود فخذ أو قبيلة من غير أن تعتقد أبدا في الصعود الى أب أول ، وما دام الدم مهدد بالتلف ، فمحاولة التشبث به حق لن يزيد عن عنصر في واقع النسيج الثقافي لإيمازيغن[47] ؛

سيتبين أن الاعتقادات مؤقتة ، وهي وليدة حاجة المجتمع إليها ، لذا لن تكون ضرورية في حياة الناس على كل العصور كما لن يكون مقبولا حرمان أحد من ممارستها ، فحتى بعد أن تحل التقنية وتعفي آلة الدارسة من التفكير في نثر الملح ، وبعد أن وجدت آلة القضاء البيروقراطية لتقلص من حدة الانتقامات ، فالتعايش سيكون الحل الأمثل على غرار ما يقع في بقاع كثيرة من العالم ؛ في بلاد اليابان مثلا أمام تعدد الديانات والاعتقادات ثمة عملة سائرة فيما بينهم وتقول أن الياباني يولد في الشينتوية (ديانة محلية) ، يعيش حياته في الكونفوشيسية ، ويتزوج في المسيحية قبل أن يموت في البوذية[48] ، التواجد معا يعفي من الإكراه وإذا شبع أحد من سماء فليفرفر

46- M. Chekroun « sciences sociales et mutations religieuses » in le maghreb : Approches des mécanismes d'articulation, édité par : R. Bourqia et N. Hopkins, Alkalam 1999, p 40

47- محسن بوعزيزي "السيمولوجيا الاجتماعية" إضافات ، ع 9 شتاء 2010 ، ص 79

48- Martin Beaulieu: Comprendre le Japon. (Éditions Ulysse). 2007. p22.

بجناحيه للسماء التي نادته .

كلما أوغل الأنثربولوجي في التنظير قابله الأهلي indigène بالممارسة[49] وهنا نأتي إلى ترجمة واقعة تضعنا ضرورة في فضاء الملتبس والإقامة فيه[50] حين قادت إلى التحقيق مع المعتقدات للتقليص من وطأتها ورتابتها ، وكان قد جرت في مرحلة الصبا يوم أخذت جدتي غربالا دقيقا (شطاطو) قسمته نصفين ببقايا الدخان العالقة بفرن (أسلو ن وافان) وأحضرت مغزلا (ئزدي) مربوطا بخيط (أراف) ، والمهم في العملية هي ما كانت تتمتمه في نفسها عندما تجعل ئزدي يتململ ، هكذا إذن كان يلتزم استقامة الخط بعد تكرار الأمر لثلاث مرات يحسم أمر براءة المتهم ولن يكون الأخ هو من أخفى البيضة ، وشاءت الصدفة أن أنقذتني ولو أني كنت من طيرها ، هكذا حررتني جدتي من خبطة المعتقدات المعتقة بتجربتها البسيطة والتي لا تخرج بحسب دولوز عن اعتبارها حياة مع ذلك ، لمساهمتها في إفراغ الرأس من الاستعمارات التقليدية التي لم تعد تشبع ، وفي جعلنا (يقول الخطيبي) نعي أن بلدا كالمغرب يقوم على تعقد وتنوع مجتمعاته التي ليست واحدة إلا عند المضاربين الإيديولوجيين الميالين إلى الاختزال بحيث "لا النزعة القومية ولا العالم الثالثي ولا النزعة الإسلامية المتنورة قادرين على توجيهنا ، تمكيننا من تبين موقعنا في تحوله

49- Eduardo Viveiros de Castro : Métaphysiques cannibales Lignes d'anthropologie post-structurale ; Traduit du portugais (Bresil) Oiara Bonilla ; Presses Universitaires de France 2009 ; p 45

50- نفسه ص 57

الدنيوي . نحن نوجد عند مفترق الأقطاب الإقليمية ، عند مفترق اللغات والثقافات والأديان"[51] ؛ ان المسألة ليست في التباين الذي يطبع شمال إفريقيا بل استعادته ما دام قد سرق من قبل أصناف بئيسة من التوحيديين[52] باتت غير مقتنعة بقسمة الديمقراطية وشرط الحرية .

سلطة المستعمر :

البحث هذا كان ثمرة التحضير للشروع في السيطرة على البلاد من قبل المستعمر الفرنسي ، فكان ضروريا أن يشمل من جهة هذا الكم من المعلومات التي تفيد في معرفة الجو العقدي السائد حينئذ والمحكوم بطبيعة الحال من جهة أخرى بالنظرة الفوقية التي تخول له حق إحكام قبضته على البلاد ؛ وعموما فكل من رمى إلى نهبك اتهمك بكونك وثنيا أو فوضويا ؛ الأولى تم تجريبها مع فرض عملية الاسلمة وأما الثانية فقد اعتمدتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية حين اعتقدت أنها بتدخلها في 1882 كانت تعمل على إقامة السلم بدل الفوضى ؛ لقد كان التدخل الذي مارسته سلطة الحماية فوضويا ؛ ففي الوقت الذي تحمل النظام للبلاد الغارقة في الفوضى كما نقرا في الفصل الأخير من الترجمة كانت البلاد تتبع تقليدا إذ تسير من

51- A. Khatibi : iii Essais, éd. La Différence 2009, p 321

52- G. Bataille ; Œuvres complètes t. vii, p يؤس الانسان ليس ان يموت . . .وانما البحث عن الفرار من القدر 247

قبل مجالس منتخبة من طرف القرى والقبائل (Orlov) لمدة سنة لا غير لينكشف أن سلطة الحماية هي من كانت تعمل على خرق البنية الديمقراطية للمغرب الأمازيغي بتنصيب زعماء الأهالي[53] الذين تنتقيهم ليعملوا لصالحها فقط أن الإقبال لا يقتصر في فترات تاريخية على هذه النخب بل يشمل الجموع لتتحول إلى حركة .

معاينة تاريخ الأمازيغ تكشف أنه تاريخ سلب من غير أن يذهب ذلك إلى القول أنهم ملغيين ، حضورهم مكشوف لنقل أن ليونة تميز طبعهم لكن ليست مطلوبة في كل الأحوال ، فراهنوا على المشاركة وليس الاستحواذ ليعثروا على أنفسهم في الإقصاء غير أنه يمكن للواحد أن يتساءل عن درجة الوعي التي كسبوها في تاريخهم وفي أي مرحلة تنبه وعيهم إلى ذاته مادام أن إدراك الوعي لذاته سيشكل وحده الجوهر[54] لذا تبقى العلامة الفارقة التي رمت إلى طرح ووضع نقطة انطلاق عند لحظة اشتداد الضغط على المنطقة المغاربية واضحة مع حاجة إيجاد بديل لتصور قادم على رؤوس السيوف والرماح من جهة الشرق ، إنها العلامة التي مثلتها مرحلة بورغواطا التي تمثلت مأساة المنطقة التي رهنت إلى الاعتقاد الدخيل لكونه أسهل من الكلام[55] إلا أن ها-ميم قصد الكلام وكان القرآن الذي استنزله بدوره

53- ع . حمودي : الشيخ والمريد ، ص 141 ، 143

54- G. V. F. HEGEL: LA PHÉNOMÉNOLOGIE DE L'ESPRIT Traduction de JEAN HYPPOLITE.TOME2 AUBIER 1941. P 260. هيغل : فنومينولوجيا الروح ، ترجمة وتقديم د ناجي العولني ، المنظمة العربية للترجمة بيروت ، ط 2006 ، ص 721

55- Clifford Geertz , p 136

بلسان قومه ؛ ولأن الغزاة ليسوا قوة برانية يمكن قياسها لمعرفة الخطر الذي يتهددهم وبالتالي العمل على مقاومته استراحوا إلى أن باغتتهم الظلامية المحلية الموحدية التي ستكرس تبعيتهم الأبدية لايدولوجيا الإسلام التي استغلت عقلية اللاتشدد مع الرموز الدينية التي طبعت أهالي شمال إفريقيا لمرحلة ولجزء منهم فلم يروى عليها أنها قادرة على إطعام الإيمان الديني[56] الذي وفره نبيهم ها-ميم لتمسي نصوصه كلمات هجرها الإيمان[57] لصالح التخييلات المستوردة وإذا تمكن الإسلام من الانتشار فبفضل عمليات الانغراس الخفية التي تمت بالإقبال عليه بأشكال متفاوتة من طرف من منحوه سواعدهم وأرواحهم حتى أن الاستلاب تحول لديهم إلى طبيعة ثانية وبات الالتفات إلى الحالة السوية والسابقة وكأنها نشاز من وجهة نظر الحشود التي وقعت ميثاق الاستسلام عن طواعية أي إلى الأبد ، ومع ذلك يقع الدور الآن على الأهلي والبلدي[58] كي يقيس اتساع السماوات التي عبرها آباؤه السابقين بالمقارنة مع موجات التغريب اليائسة التي انسحقوا فيها بلذة ستعميهم عن التبعية التي ستقتفيهم دون أن تظهر إشارة تأذن بقرب الخروج منها ، وقرينتها أننا لن نتأخر في العثور على من يذهب إلى إقرار "موت العقل الأمازيغي"[59] ؛ فقط ها نحن نجدنا "بجثة على

56- نفسه ص 117

57- G. V. F. HEGEL: p. 261 Clifford Geertz , p 117

58- Eduardo Viveiros de Castro : p 55

59- ع . الحميد العوني ، منشورات عربية ، 2006

ظهورنا لكن لا يمكن التخلص منها هكذا "[60] ووحده القرار السياسي يمكن أن يضع حدا لثقلها .

تحييد الله :

الطمس الذي يمكن ان تتعرض له ثقافة ما ، يصيبها من وجوه وتفلت له أخرى تظل تحمل ملامح أساسية ، والثقافة المدمرة إن واصلت الوجود ، فلأنها اختارت المقاومة بطريقة باطنية ، لكن من غير انقطاع ، فيما يؤكد هيسه[61] ؛ لقد قادنا لهذا التأمل مسألة تهم كيفية نظر الامازيغ إلى العالم وكذا تفسيره ، والباب الذي نود ولوجه لعرض المسألة هو الخاص بدفع الأذى ، ففيه نرى تتم العودة والاستنجاد بقوة قاهرة كي تمكنه من تخطي المكروه وتفادي ما يتهدده ، وهذه القوة لن تكون شيئا آخر غير ما يوسم كونه الله الذي استحال حضوره ضرورة بحيث لا يمكن الواحد أن يقوم بأمر دون أن يستدعيه ربما باستثناء الامازيغي الذي يروم دفع بصر احد عنه يطلب أن ترتد عين الشخص إلى ركبته بما هي دلالة على قوته (titt ennem doug foud ennem)[62] ، نفس الأمر نعاينه مع من يريد أن يدعو بسوء لأحد فيتوجه له بالقول (ettc exf nnk) لتأكل نفسك ، هكذا ينتهي الواحد إلى فهم أن المصاب لا يأت من أحد ، فقط من الذات ، لذلك تعد المعول عليه في اشفاء

60- comité invisible: L'insurrection qui vient. La fabrique éditions, 2007. p79 – 80
61- Hermann Hesse : le voyage en orient, éd. 2007. P 62
62- J. Magnin « les cadres familiaux dans la société ait warain ; Etudes et Documents Berbères, 13,1995 : p 139

غليل من اشتكى ؛ فيما القوة التي تحولت ضرورة لا يلتفت إليها ، هذا حدث في أزمان سحيقة واليوم كذلك وان كان في جغرافيات أضيق من السابق بفعل التواكل الذي غذته الديانات السماوية بل وقادتهم الى منازل الفقر[63] لتقع عليهم الصدقات حين قبلوا بدين الآخرين .

فكرة التحييد التي بقيت مبثوثة في ثنايا ممارسات الأقوام الأمازيغية المعرضة باستمرار للمسح الديني من طرف الديانات السماوية التي تنتهي بالاستقرار عندها ، ألا تكشف مقدار كم كان الله طارئا ، قبل ان يجمع جيوشه من أحرار السليقة بالتطوع أو بالاستيلاء مع قطع كل صلة لهم سابقة سواء كانت مع الدوناتية أو اليهودية أو المسيحية إلى حد أن صار على الأمازيغ مستحيلا ولوج الجنة إن لم يرتبطوا بالعرب[64] الأمر الذي قادهم إلى الازدراء حتى بأنفسهم في سبيل وجود الجنة من خلال الحط من الحياة الأرضية[65] عن آخرها .

لقد كانت الدوناتية منتشرة عند الأمازيغ بل نجد أن الدوناتيين في أغلبهم كانوا أمازيغ[66] إلا أن الوضع سيتعرض للتحول ، فاكتسحت الكاثوليكية الفضاء المغاربي ، الامر الذي قاد الى انهزام الأمازيغية وانتصار الرومنة (romanité) ، تماما كما سيقع لحظة تسريح عمليات نشر الاسلام لتستيقظ الأمازيغية على نفسها مرة أخرى كسيحة

63- Driss Ksikes : il, 2010, p 26

64- Pierre Bonte, « Hélène Claudot-Hawad, ed.. Berbères ou Arabes ? », L'Homme, 190 | 2009 p. 225228-

65- Fatna Ait Sabbah : La femme dans l'inconscient Musulman, Albin Michel 1986, p142

66- Hassan Banhakeia Tichonius, le chrétien iconoclaste (Décembre 2009-) N° 152

خاصة بعد اجهاض التجديد البورغواثي ؛ يظهر ان انتصار الرومان في مرحلة سابقة عائد الى مسح الأعمال والمؤلفات الدوناتية بعد فرض الرقابة عليها ، تماما كما سيقع مع فقهاء الاسلام من خلال الامتناع عن ترجمة نصوصهم الدينية الى لغة الأقوام الأمازيغية التي يودون استمالتها تفاديا لكل صدمة قد تبتغتهم أمام الفراغ المهول والذي ستتم ترجمته (رشيد المغربي) مؤخرا بالمثل المغربي : أ لمزوق من برا آش خبارك من داخل ؛ الا ان الالغاء لن يزيد عن رقابة ومسح يتم اللجوء اليهما لأجل اخفاء الفضاءات الروحية السابقة عن الاسلام

□ **حمو بوشخار**

أبحاث في دين الأمازيغ

(I)

كيفما كان الرأي عن الأصل المعقد للشعوب ، التي تعرف بالاسم العام الأمازيغ ، الذين احتلوا ويحتلون إلى اليوم كذلك كل شمال افريقيا الشمالية ، من المتوسط إلى السودان ومن الاطلنتك إلى مصر ، فهم يشكلون وحدة لسانية ؛ وبإقامتنا عند زاوية النظر هذه ، أمكننا محاولة إعادة تشكيل دينهم في الماضي . لكن منذ البداية ، سنجدنا أمام صعوبة غير قابلة للحل تقريبا . إذا كانت الوحدة قد خلقتها اللغة ، لم يقع الأمر نفسه مع الدين ، أقصد الدين الوثني ، إضافة لعدم اليقين حيث توجد كذلك بخصوص ترجمة الرسومات الليبية ، والتي تحرمنا من مساعدتها وتدفعنا للرجوع إلى المعلومات الشحيحة المقدمة من قبل أجانب لم يميزوا دائما بين ما كان محليا أو مقترضا من المعتقدات والاحتفالات التي نقلوا لنا عنها ذكرى .

يبدو أن حوادث الأرض ، من جبال ومغارات وصخور ، كانت قد روقبت من قبل الأمازيغ ، وإن لم يكن كآلهة ، فعلى الأقل كمأوى لمخلوق الهي . يحوز هذه الدرجة ، على الأقل في الغرب ، مرتفع أطلس[67] ، "عامود السماء" ، كما سماه سابقا أهل البلد زمن

67- -1 نظرية ج . فيطن ، عن الأصل الفينيقي لاسم أطلس تبدو لي غير مقبولة (Der Mythus vom Atlas. Mayence. 1858. in-8. p. 1 et suiv . -

هيرودوت[68] ؛ وشكل موضوع فخرهم . وهو ما سبق لبلين القديم أن تبينه[69] .

"فوسط الرمال يرتفع نحو السماوات مرتفع أطلس ، فض وعار ، جانب المحيط الذي أخذ عنه اسمه ، لكنه ، مليء بالظلال ، كثيف الشجر ، مروي بعيون منبثقة من الوجهة التي ترى إلى إفريقيا ، خصب بفواكهه المتنوعة والتي تنمو بتلقائية وقادرة على إشباع كل رغبة . خلال النهار لا نرى أي أمزداغ/ مواطن ؛ كل شيء يحفظ الصمت العميق ، على غرار الصمت الرهيب للصحاري . «إن خوفا دينيا يستولي على القلوب حين نقترب ، خصوصا من هيئة هذه القمة الشاهقة التي تعلو السحب التي تبدو قريبة من الدورة القمرية» هذه المعطيات مثبتة من طرف ماكسيم دو تير[70] . «يقطن الليبيون الغربيون مكانا ضيقا ، ممتدا ومحاطا بالبحر ، عند أقصى هذا اللسان الترابي ، المحيط يغمره بأمواج كثيرة وبمجاري . إنه بالنسبة لهم الزّاويتْ وصورة الأطلس . في حين أن الأطلس هو جبل فارغ ، شاهق ، ينفتح من جهة البحر كمسرح في واجهة الريح . الفضاء الذي يمتد وسط الجبل عبارة عن هضبة ضيقة ، خصبة ومغطاة بأشجار محملة بفواكه . ونحن إن نظرنا للقمة فكما لو كنا نطل على قاع بئر ؛ يستحيل الهبوط بسبب خشونة المنحدر ؛ الباقي ، غير مقبول . وما هو جميل في هذا

68- - تواريخ، 184، 4

69 - التاريخ الطبيعي ، ج . 1 ، ف . 1 ، فق 6

70 - مقالات ، 8 ، فقرة 7

المكان ، فهو المحيط الذي ، في لحظة المد ، يغطي الشاطئ ويتشتت على الحقول ؛ ترتفع الأمواج نحو الأطلس فنرى الماء يقف مستندا عليه كحائط ، دون أن يسيل جهة الجزء المحفور أو يمس الأرض ؛ لكن بين الجبل والماء ، يوجد الكثير من الريح والخشب الأجوف . إنه بالنسبة لليبيين معبد وإله ، أداة لأداء اليمين وتمثال» . هذه الأساطير منسوخة كذلك من قبل مارتيانوس كابيلا[71] . الأطلس المعني والذي حفظ لنا صطرابون[72] ، بلين القديم[73] ، وصولان[74] إسمه الأصلي . ديريس Dyris وأدّيريس Addiris (انظر عند ساكنة كاناريا تينيرفي ، Adar ، جرف ، عند الطوارق aouelimmiden Adar ، جبل) هو الأطلس المغربي بداهة . لكن التصور الإغريقي والمانوي الخاص بالأطلس الداعم للعالم ، يستقر في الاسم الذي تمنحه ساكنة كاناريا تينيريفي لله ، بحسب غالدينو : Atguaychafunataman[75] . «الذي يدعم السماوات»؟ والذي يمكن أن يطبق طبيعيا على قمة تينيريف ، لكن في هذه الحال تمنح ميثولوجيا ساكنة كاناريا دورا آخر لهذا الجبل . هل يمكن افتراض أن أبو القرنين الحالي ، البلكارونسيس القديم الذي يستحوذ على تونس والذي يندرج اسمه ضمن الألوهية المحببة (Saturnus Balcaranensis)

71- -De Nuptiis philologiæ, I. VI. p. 229230-, éd. Eyssenhardt
72- -Geographica. l. XVII. ch. 3, § 2
73- -Histoire naturelle. V, ch. 1. § 13
74- -Polyhistor,§ 25

75- - في هذا الاسم العجيب والمتغير بداهة ، لا يمكن أن نستخلص ، ومرة أخرى بشكل تقريبي ، سوى العنصر الاخير ataman ، مع خطأ طباعي خاص ب achaman ، سماء

كان مبجلا ببدائية من قبل الأمازيغ قبل أن ينصب الفينيقيون بعل Ba'al الخاص بهم [76] والذي سيوضع فوقه ساتيرن الذي يصور أحيانا ممتطيا سبعا[77] أو مرفوقا بتمييز سوهارنسيس عند هنشير بو بكر[78] . بعل القرنين ، المحبوب لدى الفينيقيين ، هو من غير شك ، مع تقليده ، من قبل السكان الأصليين ، قوة ربانية كلها سامية تماما كبعل الهيرمون أو بعل لبنان[79] الذي كانت تتبعه تانيث بيني بعل Pené Ba'al Tanit التي وجدنا لها إشارة في لوح فينيقي ببرج لجديد . وربما كان كذلك مع عبادة بعل حمان ب دوغا[80] . الأهداءات ل ساتيرن في المحصلة متعددة في النقوش اللاتينية الخاصة بافريقيا واسم ساتيرنيس غالب الذكر . يمكن ذكر Deo frugum Saturnus frugifero Augustus إهداء بعين زانا (ديانا)[81] ونقش Deo Sancto frugifero بالنافورة الحارة[82] . النقش اللاتيني ، الذي عثر عليه على بعد مسافة من أومال ، موجه لملكة الجبل باستوريانينسيس التي تحمي ضد عصف الريح[83] ؛ أو آخر في شامتون بتونس ، لملكة الجبل[84] . على أيامنا هذه ، تثير بعض

76- - Toutain معبد ساتيرنيس بالكارانيسيس في جبل بو قرنين ، تنويعات مدرسة روما ، مجلد ، 12 :
id. ، De Saturni Dei in ؛
الوضعية الدينية لأفريقيا الرومانية : Africa romana cultu. Paris. 1894 ؛ Ferrière
منذ نهاية ق 4 ، باريز ،1897 ، ص . 80 ، 80 .p .

77- -Corpus inscriptionum latinarum, VIII, 20437, 20448

78- -C. I. L. VIII, 12390, 12392).

79- لا غرونج : دراسة في الديانات السامية ، باريز ، 1905 ، في 8

80 - .كرتون : معبد بعل ساتيرن ب دوغغا Dougga ، باريز ، 1897 ، في8-

81 - C. I. L. VIII, 4581

82 - C. I. L. VIII, 17720

83- - C. I. L. VIII, 9180

84 - C. I. L. VIII, 14586

الجبال عند الطوارق رهبة دينية لا يستطيعون التخلي عنها ؛ لكن ليس المظهر الرهيب من الجبل هو ما يوحي لهم بالفزع ، وإنما الملكات التي تقيم فيه . هذا الاعتقاد يوجد منذ زمن بلين القديم . وهو ينقل مقطعا من رحلة حانون ، يضع في الأطلس الأجيبان والساتير التي يحيل عليها المسافر القرطاجني أكثر في الجنوب[85] ، وهو ما تم نقله أيضا من قبل سولان[86] . في القرن 12 من عهدنا ، يشير كاتب عربي مجهول إلى أشياء مشابهة في جبل بالصحراء ، لكن سرده ينقل ظاهريا أثر الاعتقادات الإسلامية[87] . يتعلق الأمر بجبل فلفل ، الذي تستقر فيه آثار عدد من المدن المهجورة بسبب الملكات اللواتي ، خلال الليل ، نلمح نارهن ونسمع صفيرهن مع اغانيهن . أزكر Azgr عند الطوارق ، صخر ئدينن ، على مسافة 30 كلم شمال غاط ، هو موضوع تطيّر عنيف بحيث ينعدم من يتجرأ على ولوجه . بارث الذي عاينه كاد يموت من العطش ، دون أن يعثر ، في النهاية ، على أي بقية سبق وضعها فيه[88] . عند الأهكار Ahaggar ، نفس الأمر يقع مع مرتفع أودان ، والاسم الممنوح للكائنات الغريبة التي تأهله ، ألهينن (من العربية الجن) يكشف جيدا أنه ما من تطيّر أمازيغي الأصل إلا وأتى ليلتحق به اعتقاد عربي[89] . الكديا ، شمال تيمنغاست وغرب ئلمان ، يثير بدوره

85 - Périple, § 14

86 - Polyhistor, § 25

87 - أ . دو كرامر : وصف افريقيا ، فيينا ، 1852 ، في8- ، ص69

88 -Barth. Reisen und Entdeckungen in Nord-und Central Africa, Gotha, 1856 ، 236-5v. in-8، t. I، p. 228 ؛ دوفيريي : طوارق الشمال ، باريز ، 1864ن في8- ، ص .416

89 - دوفيريي ، نفسه ، ص . 416-417 ؛ بنهازيرا : ستة شهور عند الطوارق ، جزائر ، 1908 ، في8- ، ص . 60

شكا من هذا القبيل[90] . بالكاناري ، رأس تيبْدي ، حيث كان الجحيم (ثشيض) قطن من قبل جني يدعى غيوتا أو هوايوتا ؛ فيما الخاص ب بالما يسمى ثرنين[91] . التعبد بالصخور يلتحق طبيعيا بالذي يخص الجبال . بلين القديم[92] وبومبونيوس ميلا[93] يذكران لنا في سيرينايك وجود صخرة مخصصة لأوستير « إذا لمستها يد إنسان ، حالا ، ترتفع الريح بعنف ، لتثير الرمال كما الرياح وتعذب كما لو تعلق بالطافي» . في الكاناريا ، قريبا من فوهة الكالديرا ، ب بالما ، يوجد صخر له هيئة مسلة وتنادى ثذاف . لتفادي انهياره ، سكان قبيلة تنانسو الذين يستقرون في الضواحي ، يقدمون ، في موكب وبأهازيج ، أحشاء الحيوانات التي يستهلكونها ، وأحيانا ضحايا عن آخرها يتم إلقاؤها من أعلى الجبال القريبة[94] . توجد صخرتان بجزر الكاناريا : الأولى تسمى تيسمار ، في مقاطعة غالدار ، الأخرى فيمينيا ، وفي تيلد . في أوقات الأزمة ، يقوم السكان رفقة متدينات تسمى ماغادا[95] ، باللامات لهاتين الصخرتين ، ماسكين بيديهم جريد النخل وأواني مليئة بالحليب والزبد لسكبها على الصخرتين وهم يرقصون حولهما ويرددون أناشيد جنائزية ، عبارة

---

90 - دو موتيلنسكي : رحلة ل أباتاسا والى الكدية ، نشرة لجنة افريقيا الفرنسية ، أكتوبر 1907 ، ص257 وما يلي

91 -Viana, Antiguedades de las Islas Afortunodas, Tubingen, 1883, in-8°, p. 24 ;

باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص . 173-174 ، باريز ، 1842 ، في8- ؛ ، فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، باريز ، 1891 ، في8- ، ص .94

92- التاريخ الطبيعي ، 1 . 2 ، ف . 7 فق 44 -

93 -De situ orbis, l. I ch. 8

94 -Glas, The history of the Canary Islands, Londres, 1764, in-4 ;

باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، م .1 . قسم .1 ، ص .172 ، فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص . 94

95- فيانا ، ص . 22 ، تناديهم حاريماغادا

عن أغاني حزينة ، يسميها الإسبان ثيندیشاس . من هناك ، يقصدون شاطئ البحر ويخبطون بقوة الماء بعصيهم ، وفي نفس الآن يصدرون صرخات بأصواتهم العالية» . يبدو أننا هنا أمام مسألة تتعلق بنوع من التعبد : الغوانش من جهة أخرى ، بخلاف الأمازيغ الآخرين ، يظهر أنهم يتوفرون على دين رسمي ، وإذا كان علينا أن نأخذ حرفيا ما نقله لنا الكتّاب الإسبان . كيفما كان الحال ، سنكون مجبرين على أن نصل بمؤسسة الذبائح هذه ، استعمال حجر يقع قرب غرتوفا Grtufa ، بين تيهري وروليزان ، ومعروفة باسم حجر غايد .

«في مكان ، ثنية من وعورة يترك منحدرا بينه وبين الطريق ، نبصر ما يشبه حجرا ضخما ، وقع من أعلى ببداهة ، وعلق بين صخور أخرى . لديه أربعة أمتار في عرضه الغليظ ومترا وسبعون في رقيقه ؛ طول وجهه العلوي عشرة أمتار وستة على الأقل في عرضه الكبير . . . حين نمتطي هذه الصخرة اللامنتظمة ضرورة ، والتي تمثل أرضية الى حد ما ، مائلة بثلاثين درجة ، نعاين ثلاثة أحواض تشكل نوعا ما شلالا ، مختلفة القد والعمق ، والتي تسمح بسهولة رؤية أنه جرت عليها كميات سائلة . على اليمين ثقبين صغيرين ودائريين ؛ عند اليسار ، نجد ثقبين صغيرين على شكل مربعات ، كلها ذات توسعة من عشرة الى خمسة عشر سنتيمترات . ليس من شك أنه لدينا هناك

---

96 -Glas, The history of the Canary Islands, I. II. ch. 3, p. 70

؛ باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، م .1 . قسم .1 ، ص .169

ديانة بدائية ، طاولة الذبائح[97]» . خلاصة هذا الوصف مقبولة . «حجر غايد كان مكانا اختير بعناية لديانة دموية . الكاهن مرتفع بثمانية أو عشرة أمتار فوق الحشود ، يجعل دم الضحية يسيل من حوض إلى آخر . تنفذ الأضحية أمام أفق واسع : كل شعوب السهل تراها ، والنار التي توقد ، من غير شك ، ترى من القمم العالية للالاّ الجبل وللالاّ كرووا»[98] . لكن لا يتعلق الأمر إلا بفرضية . والحالة هذه توجد كذلك بالكاناري إلى اليوم أماكن حيث تتم إراقة الحليب ، من ثقوب وقنوات محفورة في الصخر الصلب أنجزت خصيصا لاستقبال السائل . وتوجد أيضا أضرحة خاصة بالذبيحة ، عبارة عن فجوات محاطة بأحجار مكومة باطراد أكثر[99] . في قصر تيمنتيت ، ب تووات ، يوجد نيزك إلى اليوم كذلك خص كموضوع بتقدير عام . تدعي الحكاية أنه لحظة سقوطه من السماء قرب نوم ثناس ، كان من ذهب ، لكن الله حوله إلى فضة ، وبعد ذلك إلى حديد ، لمنع الأطماع[100] . بجانب الأحجار الطبيعية ، أو التي خدمت بيد الانسان ، تستقر دلمنات ، وما دام أنها لا تزيد عن قبور ، لا يوجد مكان للحديث عنها هنا[101] .

تظهر الكهوف عند الأمازيغ الأوائل أنها كانت محط تقدير ، طبقا

97- لابلانشير : سفر دراسة في جزء من موريطانيا السيزارية ، باريز ، 1883 ، في8- ، ص . 42

98 - لابلانشير :م س ، ص . 43

99- فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص . 90-91

100- لا كيير :استطلاعات الجنرال سيرفيير ، باريز ، س .د . ، في4- ، ص .21-22 ، مع صورة للنيزك ؛ ف . غوتيي ، الصحراء الجزائرية ، ج . 1 ، باريز ، 1908 ، في8- ، ص .253 .

101 - انظر . حول دلمنات في الجزائر ، جسل ، المآثر العتيقة للجزائر ، باريز ، 1901 ، م 2 . في4- ، ج .1 ، ص . -10 مع بيبليوغرافيا شاملة حول المسألة 36

لكلام سينيك[102] :

« Et si quis specus saxis penitus exesis montem suspenderit، non manu factus، sed naturalibus causis in tantam laxitatem excavatus، animum tuum quadam religionis suspicione percutiet»

لكن لا شيء جاء إلى حد تأكيد وجود إله للكهوف ، ثفرو أو ثفري ، المثبتة من قبل ماسكيراي[103] . أما المعبود الأكثر شهرة الذي تمت الإشارة إليه هو الإله باكاكس Bacax ، الذي عثرنا واستطلعنا مغارته ، قريبا من عنوونا (ثبيليس) . في هذا الكهف »«البيوت غير مرتبة على نفس المستوى الأفقي ، ولا هي متصلة بممرات ضيقة ببساطة ؛ إنها متراكبة في الغالب وتتواصل فيما بينها بأدراج طبيعية ، بل وأحيانا بآبار حقيقية . بين مر المدخل وعمق المغارة ، فرق المستوى لا يمكنه أن يقل عن ثلاثة أو أربعة مئة متر[104]» . اسم الإله باكاكس المذكور بعدد من النقوش اللاتينية[105] ، قاوم إلى هنا كل محاولات التفسير . وكانت توضع القرابين أمام مدخل المغارة . ربما لاعتقاد من هذا النوع كان يلزم رد النقوش الليبية العديدة الموجودة في فجوة ثفري ن دلال[106] . معبود

102 - XLI رسائل الى لوتليوس ،

103 مقارنة قاموس زناگ (أرشيف البعثات العلمية ، باريز ، 1879 ، ص . 481) -

104 - مونصو : مغارة الإله باكاكس بجبل طايع ، باريز ، 1887 ، في8- ؛ ج . ميرسيي : الألهة الليبية ، قسطنطينا ، س . د . في8- ، ص . 6-7

105 -C. I. L. VIII, 5504 (18828), 5505 (18829), 5517 (18847), 5518 (18850), 18831, 18838

106- انظر . ر . باصي : ملاحظات عن النقوش الليبية الخاصة بثفري ن دلال ، تقرير أكاديمية النقوش ، غشت 1909 ، ص .590-593 ؛ سعيد بوليفا :نقوش ثفيرا ، مجلة الاركيولوجيا ، 1909 ، ص .179-200 . ،

الكهوف الذي يمكن التعرف فيه كذلك على الاسم الملغز ج د أ س الذي تبدأ منه جملة نقوش مأخوذة من مغارة تدعى رار زمّا ، واقعة على أنف جبل شطابا ، ضواحي قسطنطين . بالرغم من جدال م . ج . ميرسيي[107] الذي يمنح عنه وصفا دقيقا ، تقريب اسم شطابا الحالي ، مع جبل جيدابا الذي ألمح له س . وغيسطين ، المقترح من طرف مجر تولوط وم . هيرون الفيلفوسي ، مغروج د أ س تعني Giddabæ deo augusto sacrum[108]

بالكاناريا العظمى ، على بعد ميلين من طريدي ، على قمة جبل بركاني ، توجد مغارة شاسعة ، محفورة في الحجر ، حيث ندخل من أربع فتحات ذات أربعة عشر قدما من أعلى ، والذي اشتق منه الاسم الشعبي جبل الأربعة أبواب . الفتحات معزولة بأعمدة تتراوح سعتها بين سبعة إلى تسعة أقدام . أمام كل عامود ، على فناء منحوت في الحجر وتعمل كأعمدة أمامية للمغارة ، ترى ما يشبه أعشاشا ، البعض دائري ، الأخرى مربعات ، وكلها تبدو موضوعة لاستقبال حوائج التعبد ، الأعشاش توجد على مسافة خمسة أقدام من الأرض[109] . في جزيرة الحديد ، بالكاناري ، مغارة الأستيهيطا ، في بلاد تاكوينطونتا ، مخصصة للخلوة ، خلال فترات الجفاف ، لمن يذهب كي يتضرع للإله . حين يظهر له يمنحه

107- ، ص . 156-166 . XXXV مغارة شطابا ، منتخبات قسطنطينة الاركيويوجية ، ج .

108 - انظر . جيسل : وقائع افريقيا ، روما ،1903 في8- ، ص . 45 ،44 والملاحظة 8 .

109 - باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، م .1 . قسم .1 ، ص . 159-160 .

حلوفا (خنزير) يقدمه للجماعة كعلامة على أن صلواته قد تحققت[110]

لا نعلم إن كان الأمازيغ قد أحبوا الهواء أو الريح ، لكن لم يكن ذلك من غير شك سوى تحت تأثير خارجي . نتوفر على نقش من أبيات لاتينية ، عثر عليه ب نارناگارا (سيد يوسف) حيث ورد ذكر الريح تحت اسم جنون[111] ؛ وربما لاعتقاد من هذا النوع كان يلزم إرجاع نقش عين متيرشو[112] . ويلزم ربطه بمقطع ل فيرمنوس ماتيرنوس[113] ، الذي يرى أن الآشوريين وجزءا من أهالي أفريقيا منحوا الريح نوعا من الإمارة على العناصر . لكن بما أنه يضيف أنهم رسخوه تحت اسم جنون او فينيس العزبا ، فمن الجلي أن الأمر يتعلق باعتقاد فينيقي .

الأنهار ، أو على الأقل عيون الأنهار ، كانت مقتصرة على إله معين ؛ النقوش التي تذكره ، والوحيدة التي نملك ، يخبروننا عن اسم الإله الذي عين ، مع احتمال وجود تأثير روماني ، بمفردة جيني (جينيوس) . على هذا النحو ب سيغ Sig ، عثرنا على إهداء لجيني النهر[114] ؛ عند عين بومرزوك ، قريبا من سيلا القديمة ، أخذنا نقشا يشير إلى جيني أمساگا ، اسم النهر القديم[115] ، وآخر لإلهة الماء

110 - فيارا وكلابيخو بعد .
باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص . 168 ، باريز ، 1842 ، في8- ؛ ، فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، باريز ، 1891 ، في8- ، ص .92-93

111 -C. I. L., VIII, 4635

112 -C. I. L., VIII, 17763

113- خطأ الديانات الزائلة ، ف . 3 -

114 -Genio fl uminis, C. I. L., VIII, 9749

115- انظر . كذلك شيربونو : جولة في رسوم ميلا ، موفار ، سيلا ، قسطنطينة ، س . دد . ، في8- ، ص . -30 -31
C. I. L., VIII, 5884

ألكصندريانا[116] ؛ ولآلهة المياه[117] ، ل جيني النافورة (جينيو فونتيس) ، مقترن مع جيبيتر ، بنافورة لقايد ، قريبا من باتنا[118] .

تطبيق اسم جيني الخاص بمدينة ، والذي نعثر عليه بوفرة في النقوش يظهر أنه نتيجة لنقل عادات رومانية تجسد المدينة في جيني بعينه ، حين لا يكون ذلك من عمل المستعمر بل من السكان الأهالي . هكذا هو جيني قرية ب لامبيز[119] ؛ جيني لامبيز[120] ؛ جيني روسيكادا[121] ؛ جيني هنشير ماسفونا[122] ؛ جيني قصبة عند سور دجواب[123] ، جيني المستعمرات السيرتية[124] ؛ جيني المستعمرة ب ميلا[125] ؛ جيني مكتار[126] ؛ جيني سوبزابار[127] ؛ جيني فووا[128] ؛ جيني مستلحقة ب تيتور[129] ؛ جيني مستلحقة ساتاف[130] ؛ جيني سيبيتاس سيلتيانينسيوم ، عند ولاد ؤوالبان[131] ؛ جينيوس بيبولي كوكيلتاني عند دجميلا[132] ؛ جيني

116 -C. I. L., VIII, 2662
117 -C. I. L., VIII, 2663
118 -C. I. L., VIII, 4291
119 -Genio vici, C. I. L., VIII, 2604, 2605
120 -Genio Lambaesis, C. I. L., VIII, 2528, 2596, 2598, 2599

121 -Genio coloniae Veneriae Rusicadae augusto, C. I. L., VIII, 7959, 7960
122 -Genio Lamasbae augusto
123 -Genio pagi augusto, C. I. L., VIII, 9196
124 -C. I. L., VIII, 5693, 10866
125 -C. I. L., VIII, 7960, 8202, 19980
126 -C. I. L., VIII, 6352
127 -C. I. L., VIII, 6001
128 -626791-
129 -C. I. L., VIII, 1353, 14891
130- عين كبير : C. I. L., VIII, 8389
131 -C. I. L., VIII, 19688
132 -C. L., VIII, 20144

المستعمرة ب هنشير سيدي علي بلقاسم[133] ؛ جيني حصن لمرصونطونس ب هنشير مفعونا[134] ؛ جيني مستعمرة خوليا فينيريا شيرتاء نوفا ب هنشير دجيزا[135] ؛ جيني القرية (Genio vici Augusto) ب ماركونا[136] ؛ جيني ثيبار ب هنشير أماميت[137] ؛ جيني الشعب ب عين زانا[138] ، ب قسطنطينة[139] ؛ جيني نوفار عند آيث فودا[140] ؛ جيني غديمفالا[141] . يمكن أن نلحق إلهة كوراي المهزومة[142] وكذا الذي ورد ذكره بنقش بوردج حامزا[143] . الجيني هو في الغالب إله لاتيني أو فينيقو-لاتيني كما في قصار الأحمر بمنطقة عين بيضا : في إهداء خاص ب ساتيرن ، من ق . 3 ، نعت هذا الإله جينيوس سالتوس صوروتينسيس[144] ؛ في واحد آخر موجه ل جوبيتر ، ب وْزلي ، يتعلق الأمر بجيني أرقع فرومونتاراع[145] .

إلى جانب الجبال ، الأحجار ، المغارات والأنهار ، يعشق الأمازيغ الكواكب ، وفي الخط الأول ، الشمس . يوجد المعتقد الذي يخصها عند الأمازيغ الرحل ، بين مصرا ونهر تريتون[146] وعند الأمازيغ بعامة[147] .

133 -C. I. L., VIII, 14687
134 -C. I. L., VIII, 18596
135 -C. I. L., VIII, 16367
136- C. I. L., VIII, 424
137 -C. I. L., VIII, 15345
138-C. I. L., VIII, 4575
139 -C. I. L., VIII, 6947, 6948
140 -C. I. L., VIII, 20429, 20430
141 -(? C. I. L., VIII, 18752)
142 -Ksar Gouraï ، قصار كوراي ، قرب تيبيسا près de Tébessa، C. I. L.، VIII، 1843
143 -Auzio Deo Genio:C. I. L., VIII, 9014
144- . جيـل : وقائع افريقيا ، روما ،1903 في8- ، ص . 40 -
145 -Genius arcae frumentaræ (C. I. L., VIII, 6639
146 - هيرودوت : تواريخ ، 77- 188 ،IV ،l
147- ابن خلدون : كتاب العبر ، بولاق 1284م 7 . في8- ، ج6 ، ص . 89 ، -

في حياة القديس صامويل القلموني نرى أن الأمازيغي الذي رمى غنما للقديس الواقع في العبودية قصد أن يحبب له الشمس[148] . نعثر على نقوش لاتينية خصت لها Soli deo invicto في سهل باتنا[149] ؛ و Soli deo Augusto ب زاراي[150] ؛ وSoli invicto بسوق أحراس[151] ؛ في سلوقيا[152] ؛ في شرشل[153] ؛ في أفرفيل[154] ؛ للشمس وللقمر ، قريبا من سيد علي بلقاسم في تونس[155] ، لكن من المستبعد أن يتعلق الأمر بالرب الأمازيغي القديم حين نرى الشمس ، نظير ميرثا والغان[156] وكذلك لعين توكريبيا[157] . يظهر على العكس من ذلك أن الأمر يتعلق بالرب الأمازيغي كما في نقش لاتيني ب ؤمال ، يعود لسنة 207 من عصر الإقليم ، حيث تم الحديث عن احتفالات على شرف طونو حامل القرون وإلهة عظيمة Panthea ستلازمه ، كما ستقابل بالتبجيل على سواحل ليبيا والمور والتي ستستقر بين جوبيتر ، حمون ودي[158] . أهل الغوانش ب بالما يبجلون بدورهم الشمس ويمنحونها اسم ماجك[159] ، وكذلك أمان الذي

148 -R. Basset, Synaxaire arabe-jacobite, Paris, s. d., in-8, p. 331 ; F. M. Esteves Pereira, Vida de Abba Samuel, Lisbonne, 1894, in-8, p. 22, 99, 154.
149 - C. I. L., VIII, 2675
150 - C. I. L., VIII, 4513
151 - C. I. L., VIII, 5143
152 - C. I. L., VIII, 1329
153 - C. I. L., VIII, 9331
154 - C. I. L., VIII, 9629
155 - C. I. L., VIII, 14688, 14689
156 - C. I. L., VIII, 18025
157 - C. I. L., VIII, 21523
158-C. I. L., VIII, 9018

159 - انظر . ألفيس دو كا دا موصتو : علاقة الأسفار ، بالساحل الغربي لإفريقيا تر . ج . طومبورال ، منشورات شيفر . باريز ، 1895 ، في8- ، ص 34. Viana, Antigüedades de las Islas Afortunadas, p. 24 ; Glas, The history of the Canary Islands, p. 139 .

يظهر أنه يعني «سلطان» ؛ في لغة طوارق أووليميدن ، أمني لها دلالة «الله» . بحسب قول مكروب[160] ، يحب هؤلاء الليبيون غروب الشمس الذي كان جسد ب حمون (Amen) : ويقدمونه بقرون خروف حيث تكمن قوته الرئيسية ، على غرار الشمس في أشعتها[161] . في خطاب س . أثاناس ضد الوثنيين (فقرة 14) ، قيل أنه ، عند الليبيين ، الشاة تسمى أمن وكانت مقدّرة كإلهة . خلصنا في النهاية ، مع كل مظاهر المعقولية ، إلى نشر رأي أن أمون (حمون ، أمن) كان إلها من أصل أمازيغي . يمكن أن نورد الرسوم الصخرية التي عثر عليها ب بوعالم في الجنوب الوهراني ، تمثل خرافا ذوات رؤوس تعلوها تسريحة ، على هيئة قرص شمسي ، مدعم بواحد ؤرايوس uræus [162] . سنكون مخطئين أن نرى فيه النموذج الأصلي ل أمن المصري ؛ أعتقد ، مع جسيل ، أنه نوع شبه سعيد من تمثيل مصري ، ويقترب على الأرجح من رسوم الصخور المكتشفة من قبل بارث في تيليصاو ، غرب فزان[163] ، والنقش القليل البروز في أساسات برج تاسكو ب غاداميس[164] .

لكن هناك برهان آخر على محبة الخروف الذي يمثل الشمس والذي لا يمكن أن نرى فيه تقليدا مصريا ؛ يتعلق الأمر بأثر عثر عليه في 1851 ب أرزو الهرم ، يمثل «رأسا منحوتا بخشونة بمعية أنف غير

160- احتفالات ساتيرن ، ا ، 1 ، ف ، -21

161 -Cf. aussi Martianus Capella, De nuptiis philologiae, l. II, éd. Eyssenhardt, Leipzig, 1866, in-12, p. 44.

162 - جيسل : وقائع اثرية إفريقية ، روما ، 1900 ، في8- ، ص83 ؛ الآثار الجزائرية القديمة ، ج .1 ، ص .53 ،

163 -Reisen und Entdeckungen, t. I, p. 210217-.

164 -X pl. طوارق الشمال.

ظاهر كفاية ، وثقبان صغيران مدوران بالنسبة للعينين والأذنين فيما الفم مصاغ من خط محفور ؛ القرون معقوفة والرأس إلى أسفل ، ذراعاه ملتصقة بالجسد فيما يداه يجمعهما أعلى الصرة . الجزء السفلي للجسم ينتهي في تبانكا gaine»[165] . وكذلك على تمثال من هذا النوع ما عثر عليه في تووات والذي ينعت باسم «تمثال جيتول»(؟)[166] . نستطيع تقريبه من غورزيل الذي كان له كعراف ليرنا وكأب جوبيتر أمون[167] ، الذي كان له من عجلة[168] . اعتبر هذا الغورزيل كأبولو : ومثل بصورة ثور محمول للحرب[169] . استمرت عبادة هذا المعبود زمنا طويلا ، لأن في ، ق . 11 من عهدنا ، يشير البكري لوجود تمثال صخري بطرابلس ، منصوب على تل ويكنى غورزا ، والذي تقدم له القبائل المجاورة ، على نحو هووارا ، قرابين كما تتوجه له بصلوات للحصول على شفاء ماشيتهم[170] . البكري[171] للأسف لا يمنحنا معلومات عن شكل هذا التمثال . هل كان كذلك تمثالا أمازيغيا من نفس النوع ، كالذي أشار له نفس المؤلف باسم ماغماد (ربما ماكوماد القدماء) والذي يقول أنه كان مرفوعا على شاطئ البحر بين مصرا والمغرب ومحاطا بعدد آخر[172]؟ . تسمية غورزا هذه التي نصادفها موجودة كعنصر بين أسماء

165 بيربرودجر : مكتبة-متحف الجزائر ، الجزائر ، 1861 ، في16- ، ص . 29--30

166 إ . ف . غوتيي : صحراء الجزائر ، ص .253 . نقترح للاستفهام معنى : تمثال يشفي القلوب! (المترجم) -

167 -Corippus, Johannide, II, 109110- ; V, 494-495 ; VI, 116

168 -Johannide, II, 111

169 -Johannide, IV, 666673- ; V, 2229-

170 -Cf. J. Partsch, Die Berbern in der Dichtung des Corippus, Breslau, 1896, p. 16.

171 البكري : وصف افريقيا الشمالية ، النص العربي ، طبعة ، دو صلان ، الجزائر ، 1857 ، في8- ، ص .-12

172 - نفسه ، ص . -7

محلية في مدينة وضعها بوليب[173] غير بعيد من وُتيق ومن قرطاج ، وفي تيسيرا استضافة ورعاية ل . ضوميتيوس أحنوباربوس[174] .

«Senatus populusque civitatium stipendariorum Pagogurzenses hospitium fecerunt... Faciundum coeraverunt Ammicar, Milchatonis f., Cynasyn Bonoar Azzrubalis f., Aethogurzensis Muthunbal f...»[175]

نلاحظ أسماء المانحين الفيانقة . تشير صفيحة برونز أخرى لسيفيتاس غورزيسنيس[176] وربما أمكن رؤية غورزا في غورا لوحة بوتينجر . في ، ق . 11 كذلك ، يشير البكري ، في الأطلس ، قريبا من آ . لاماس ، بين أغمات وسوس ، لقبيلة أمازيغية وثنية مولهة بالكبش : لا أحد منهم يتجرأ المجيء ، إن لم يكن متخفيا ، الى أسواق القبائل المجاورة[177] . لعبادة الشمس هذه قبيلة واحدة شكلت الاستثناء : الأطلانت(تنويع أترانت) ؛ مع انعدام وجود أسماء تميزهم ، كانوا ينظرون لشروق وغروب الشمس وهم يلفظون دعوات الشر الرهيبة كما لو كان ضد كوكب نحس بالنسبة لهم ولحقولهم ؛ فهم يفتقرون للرؤى تماما كما الأشخاص الآخرين . هذا ما ينقله هيرودوت[178] وبلين

173- تاريخ : 1 ، ف74 س

174 -C. I. L., VIII, 68

175 -Egger, Latini sermonis reliquiæ, Paris, 1843, in-8, p. 327.

176 -C. I. L., VIII, 69

177- البكري : وصف افريقيا الشمالية ، ص .161 ،

178 - 184تواريخ : 1 . 4 ، فقرة

القديم[179] ؛ نيكولا الدمشقي[180] لا يذكر سوى السب الموجه ضد شروق الشمس .

القمر كان أيضا محبوبا عند الأمازيغ الرحل بين بحيرة تريتونيس ومصرا[181] ، نفس الامر يحدث مع أمازيغ الغرب[182]ومن قبل الغوانش . هؤلاء يلاحظون هذه المراحل ،خصوصا بروز الهلال أو بلوغ اكتماله[183] .هل دمجها الأمازيغ مع الآلهة العلوية ل دوغا Dugga وقرطاج ، وهذه تم نقلها ، بحسب التقليد ، من طرف ديضون ، ويسميها الفينيقيون أسطرو أرخي وتم نقلها إلى روما من طرف كراكلا؟[184] . كما نرى من خلال مقطع من التاريخ الجليل ، التنبؤات الخارجة من معبد كوليستيس بقرطاج تسببت افريقيًا في عدد كبير من التمردات التي على الأرجح شارك فيها الأمازيغ والتي اقتضت من بيرتناكس قمعها زمن ولاية حكمه إفريقيا[185] . هلال القمر يصادف أعلى عدد من النقوش[186] والتي تضمنت واحدة ، عند آيت ووكدن ، بالحروف الليبية (تيفيناغ) والفينيقية[187] ، لكن من المحتمل أن هذه العلامة التي عينت بدائيا عبادة قمرية انتهت بأن صارت بهرجة دون دلالة . لا مكان لتبني

179 - 8التاريخ الطبيعي ، 1 . 5 ، ف .
180 - كسرة 140 ، ط . ميلر
181 - 188هيرودوت : تواريخ ، 1 . 4 ، ف
182 - ابن خلدون : كتاب العبر ، ج . 6 ، ص . 89
183 -Alvise de Cà da Mosto, Relation, p. 34 ; Glas, The history of the Canary Islands, p. 139.
184 - 4 هيروديا : التاريخ الروماني ، 1 . 5 . ف 4
185 - IVج . كبيتولا : حياة بيرتناكس ، ف .
186 - Cf. C. I. L. passim
187 - C. I. L., VIII, 20184

فرضية ، منشورة انطلاقا من اشتقاقات ومقابلات غير دقيقة ، تكون تانيث ، تبعا لها ، الإلهة الفينيقية العظيمة ، ذات انتماء أمازيغي[188] . لو لاحظنا أنه في الأمازيغية ، اسم القمر هو مذكر ، أيورْ ayur أو أكور aggur ، سنتحقق أنه لا يمكن أن يشخص بإلهة . هناك الكثير من الاحتمال في فرضية م . ج . ميرسيي[189] الذي يسعى للعثور على أيُور في الملغز لوري المذكور مع وصف الجليل ، في نقش تم العثور عليه ب غشغاش ، على مسافة 16 كلم من قسطنطينة[190] .

الأجسام السماوية الأخرى هل كانت موضوع تبجيل عند الأمازيغ ؛ هذا هو المحتمل ، بالرغم من عدم توفرنا على حجج إلا لعدد قليل منها . ألفيس دو كا دا مو موصتو يؤكدها بخصوص غوانش تينيريف[191] . كوكب فينيس يحمل عند أهل زواوا إلى اليوم اسم مرعار ؛ عند آيت أووليميدن ، بما هو نجم مساء ، اسم تاتاري ، وبما هو نجم صبح ، أماون أشيملش أو أماون ن ئحاد amawn n ehad أو amawn acimmlc ؛ عند الأهكار Ahaggar ، تسمى : تاتريت تا ن توفات Tatrit ta n tufat وهو ما يترجم «نجم الصبح» بالضبط . على غرار أم أخرى وضع الأهكار في السماء عددا من المشاهد ، دون أن نستطيع تحديد ما إذا ما كانت تناسب شعورا دينيا . هكذا تصير

188 - .بيرئولو : مقالة في دين الليبيين . المجلة التونسية ، نونبر 1908 ، ص . 484-450

189- -الآلهة الليبية ، ص . 12-16

190 - C. I. L., VIII, 5673

191 - 34علاقات :ص .

Chêt Ahadh الكوكبة

«بنات الليل» : ستة نجوم من هذه المجموعة يتوفر كل واحد منها على اسم ، سابعها هو عين طفل كان قد انفك وطار في السماء . هذا التقليد تصوره الأبيات التالية :

بنات الليل هن بعدد سبعة :

Mâtrdjré ماتردجري	و	Erredjâot ئرادجاوت
Mâtsksk ماتسكسك	و	Esskâot ئسكاوت
Mâtlaghlagh ماتلاغلاغ	و	Ellghâot ثلغاوت .
والسابعة هي عين طفل اختفي في السماء[1]		

نلاحظ أن النجوم الستة تختزل إلى ثلاثة أزواج فيما أسماؤها تنتمي إلى نفس الجذر . آيث أووليميدن تمنحها اسم شطاحات (= شيت أحاض) .

ؤريو ، هو أمانار عند الطوارق ، وله تأويلين . بحسب واحد ، خرج من بئر موحل ورجل Rigel (أضار ن لاكو Adar n laku ، قدم في الوعاء) هي القدم الأخيرة الخارجة من الوحل ، بمعنى النجمة الأخيرة حين تصعد الكوكبة في الشرق . بحسب الآخر ، إنه صياد ، يضع حزاما (في الأهكار وفي أووليميدن تدجباست ن أمنار Tadjebest n Amanar ، النجوم الثلاثة المستقيمة) ومتبوعا بكلب (أيدي Eidi = سيغيوس) كما تسبقه غزلان (ئهنكاض Ihnkadh ، كوكبة الأرانب

الوحشية)[192] .

الدبة الكبيرة والصغيرة يمثلان ناقة وصغيرها (تالمت د روريس Talmt d roris) : نجمة القطب هي زنجية وتسمى لمكاشن Lmkechn (بمعنى «خذ») لأنها ملزمة بمسك الجمل الصغير (أوورا Aoura) كي يتسنى لها حلب الناقة . لكن النجوم : ξ، ν، μ، λ، ψ، يمثلون مجلسا يناقش إن كان ضروريا الفتك بالزنجية : فهذه (القطبية) تقف جامدة من الخوف . بحسب أسطورة ملوثة contaminée بالدين الإسلامي ، فالدبة الكبيرة كانت ناقة في مِلكية نوح . وتم قتلها من طرف سبعة أعيان من بينهم طوارقي : هذا الأخير مُسخ إلى وَران (ar'ata ، فصيلة تماسيح) ، البقية إلى ذئب ، إلى حرباء الخ . . . ومنذئذ ، لا يتناول الطوارق الأوران باعتباره خالهم من جهة الأم[193]

العقرب يسمى أحيانا تاغرضمت Tagherdamt (عقرب) ، وفي أخرى تازييت Tazzeit (نخلة) . أمروت (أنتريس) ، رجل شاب ، أراد امتطاء نخلة ؛ لكن حين بلغ نصف مستوى الشجرة ، لمح بنات شابات وجميلات ، تيبرادين Tibaradin ، يرتدين حاووليس h'aoulis حمراوات ، عائدات من البركة Tesâhak ، فبقي عند نصف المستوى يتأملهن[194] .

كواكب أخرى تحمل أسماء خاصة ، فقط من غير أسطورة تصلهن .

192- نفسه ، ص . 424 -
193- بنهازيرا : ستة شهور عند الطوارق ، جزائر ، 1908 ، في8- ، ص . -60 61
194- نفسه ، ص . 425 - دوفريي :

المجموعة الغائمة تسمى في بوجي أجكو ؤتيگناو ajgou u tignaou جسر السماء ؛ عند الطوارق ، ماهلاو Mahellaou . نجوم الكلب العظيم η، δ، ε تسمى ئفاراكراكن Ifarakraken (ضجيج فزاعة أو طائر) وβ ، أووهم ، صغير الغزالة ؛ δ وo الفلك هما الغنى (تنافاليت Tnâfalet) والعوز (توزيرت Tôzzert) ؛ يسمى الثور كوكويّوض Kôkoyyodh وخابية الأموات ، واديت Ouadit [195] . الأفارقة عبّروا في النهاية العهود القديمة كي يكونوا مضطلعين بعلم التنجيم ، وخصوصا خط الالتحام الشرس ، كما نراه من خلال اللفظة التي منحت له . في معرض حديثه عن ابنه جيطا ل جوفينال ، رئيس المحكمة ، يقول له : شيء مذهل أن يكون ابننا جيطا مجبرا على أن يمجد ، فكوكبته في نظري ليس عليها أي طابع إمبراطوري[196] .

اسم قوس قزح ، عند بعض القبائل الأمازيغية ، حفظ لنا أثر أسطورة . إن كان في واد ريرع ، نسميه أبشي abechchi وفي هاراكطا ، أبكاس abggas (حزام) ، عند زواوا ، يسمى ثيسليث ب ونزار thislith b ouanzar ؛ عند آيث بوتعيوا ب أرزو ، ثيسريث ن ونزار thisrith n ounza ؛ عند آيث يزناسن ، ثاسليت نونزير thaslit nounzer ، التي تعني «عروسة المطر» ، عند آيث مناصر ، تاسليث ن ؤجنا taslith n oujenna ، «عروسة السماء» . المطر ، أنزار Anzar ، تم اعتباره إذن

195- م.س : ص -426

196- سبارتيا : حياة جيطا ، ف 2 ، ضمن : التاريخ الجليل-

ككائن مذكر . في جرجورا ، يذهب أبناء لقبايْل ، زمن الجفاف من منزل إلى منزل وهم يغنون :

أنزار ! أنزار !

يا رب ، أروينا إلى الجذور[197] .

في لمزابْ ، يغني الأطفال وهم يدوسون الحبوب :

أعطينا ، يا رب ، ماء أنزار[198] .

في حكاية شعبية ب وارغلا ، أمزار (= أنزار) هو مشخص[199] . وبالنتيجة قد تم النظر إلى قوس قزح كخطيبة المطر . هذه الأسطورة ليست من غير صلة مع الطريقة التي يتم بها استدعاء المطر عند بعض الساكنة الأمازيغية والعربية للمغرب . بعين صفرا ، ب تلمسان ، ب مازونا ، تختار ملعقة من خشب (آغندجا aghendja بالقبايلْ) يتم إلباسها بخرق ، بطريقة يجعل منها شيئا كدمية تمثل خطيبة أو عروسة ، تسمى غوندجا ، ويتم تطوافها بأبهة على مقابر الأولياء المحليين ، مع غناء مقاطع تتنوع حسب المناطق . كما في :

غوندجا ! غوندجا كشفت رأسها .

يا ربي ، ستبلل أقراط أذنيها ؛

السنبلة عطشت ؛

197- بن سيديرا : دروس اللغة القبايلية ، الجزائر ، 1887 ، في8- ، ص . XCVIII ، هامش 1 ؛ انظر ، ماسكيراي : نقوش ؤزيا المجهولة ، نشرة المراسلة الافريقية ، ج .1 ، 1882 ص . 11-12 -

198- دو موتلينسكي : اللهجة الأمازيغية ب غدامس ، باريز ، 1907 ،في8- ، ص . 147 -

199- بيارناي : دراسة حول اللهجة الأمازيغية لوارغلا ، باريس ، 1908 ، في8- ، الحكاية 9 ، ص . 247-249 -

امنحها تشرب ، يا سيدنا[200] .

في تيط ، بواحات توات ، يخرج الناس ، زمن الجفاف ، من القصر ، رجالا ، نساء ، أطفال وفتيات . يأخذون ملعقة من خشب ويلبسونها ثيابا نسائية . تحملها فتاة شابة والأشخاص يرددون : يا ملعقة ! يا مراعي ! (أغندجا- ثيمردجا) ؛ ربي ، فوت وقت الحر ! يا ربي ! باسم النبي ! سبق ل ترتوليا في دفاعه ، فقرة 23 ، أن منح ل لافيرغو كوستليس عنوان Virgo Coelestis . عند الغوانش ، يتمثل طقس استدعاء المطر في تصويم العباد والدواب ، وربما في تينيريف ، فصل الصبيان عن أمهاتهم حتى تثير صرخاتهم مشاعر السماء[201] . وهذا كان كذلك هبة من بعض السحرة . يروي مؤرخ العصور القديمة كيف عند الأمازيغ ، أن جيشا رومانيا ، يقوده هوزيديوس جيطا ، وارث سوييطونيوس بولينوس كاد يموت من الظمأ في الرمال عند مطاردته الثوار وقائدهم سوبولوس . الأهلي الحليف أقنع الجنرال الروماني باللجوء إلى من يعزّمون وإلى السحر ، مؤكدا أن وسيلة من هذا النوع غالبا ما جلبت الماء بكمية كبيرة . هذه المرة كذلك ، نجحت الطريقة ، لكن نجهل على أي شيء تقوم[202] .

200- أنظر . أ . بيل : بعض طقوس تحصيل المطر زمن الجفاف عند المسلمين المغاربة ، مجموعة مذكرات ونصوص ، على شرف المؤتمر 14 للمستشرقين ، من قبل أساتذة مدرسة الأدب ، الجزائر ، 1905 ، في8- ، ص . 49-98 ؛ دوتي : السحر والدين في شمال افريقيا ، الجزائر ، 1909 ، ص .584-586

201- فيبرا ، بحسب اسبينوزسا ، بع ، باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص . 173

؛ ، فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص .92-93

202- ديو كاصيوس : التاريخ الروماني ، 1 . 9 ، ف 9 -

لهذه الآلهة ، يلزم إرفاق تلك التي عرّفنا عليها علم النقوش اللاتيني ، لكن كذلك حول الأنساب والطبيعة اللتين لم نستقر عليهما . هكذا نتوفر على إهداءات للآلهة المغربية في نقاط عديدة من شمال إفريقيا : ب شرشل[203] ؛ بواد ماركونا[204] ؛ قرب واد تيزّولت[205] ؛ ب لاموريسيير[206] ؛ ب هينشير رمضان في تونس[207] ؛ للآلهة المغربية المنقذة وللجني سطافيس بعين كبيرا[208] . الآلهة المغربية هذه ، هل هي ملوك مؤلهة سيتم الحديث عنها فيما بعد ؟ الأمر ممكن ، لكن لا شيء يأتي لتأكيد ذلك ؛ هكذا أوتيمان ، يترك مع مركير في نقش لزمبيز[209] والذي قارناه مع ماستيمان الكوريبوسي[210] ، والذي يعتبره البعض إله الحرب[211] . جزء آخر من المغاربة يرون فيه جوبيتر طوناريوس الذي اقترحنا تصحيحه ب جوبيتر طارتاريوس المناسب ل دي سفروس في النقش اللاتيني[212] والذي تذبح له أضحيات بشرية في أوقات الطاعون[213] . نستطيع أن نقرب هذا المقطع من الذي ل بلين القديم[214] حيث يذكر أن الأجيليين لا يقبلون سوى الآلهة الجهنمية ، أو ، حسب بومبونيوس

203 - C. I. L., 9327
204 - C. I. L., 2639
205 - C. I. L., VIII, 2640
206 - C. I. L., VIII, 21720
207 - C. I. L., VIII, 1442
208 - C. I. L., VIII, 20251
209 - C. I. L., VIII, 2650

210- جوهانيد : ج8 ، ص . 306-307
211- ج . ميرسيي : الآلهة الليبية ، ص .1
212 - Partsch, Die Berbern in der Dichtung des Corippus, p. 16.)C. I. L., VIII, 9018(
213- جوهانيد ، ج 8، ص . 307- 309
214- التاريخ الطبعي : ج ، 5 ، ص . 8-

ميلا ، أرواح الأموات[215] . أوليسفا كانت محبوبة في منطقة تلمسان ، ويكشف ذلك نقشان عثر عليهما بأكادير[216] وآخر بعين خييال[217] .
لا أعتقد ضروريا التأكيد على كاوتوس باتس ، الاسم الذي ليست قراءته في نقش خينشيلا شيئا أقل من مؤكد ، ليس أكثر من على كاوب ، المذكور في شطابا . يبدو أن نقش هينشير متكيدس[218] يشير الى خمسة من مقاطعة ماجيفا الريفية : إنه مهدي إلى مسيدنيس ، تيكيكبي ، سوغانيس ، ئسدانيس ، المتوفرين على تماثيل . واحد آخر ، بسيد يوسف[219] يذكر ئيوكولو[220] . نعت من هذا النوع : ديوس باتريوس Deus patrius منح لباليدّير أو بالدّير ، في النقوش التي تسميه : في قلعة بوصبع بين بوني وغيلما[221] ، بسيغوس[222] . هل هو نفس جينيو باتريوس الذي دفن فيه قس بزيطارا (كف بزيووا) ؟ واحد آخر : ديوس باتريوس ، لديه قساوسة ، تمت الإشارة له بهينشير لباز[223] . هذا الاسم الخاص ب باليدّير Baliddir ، أو على الأقل عنصره الثاني ئدّير iddir هل هو أمازيغي كما أثبت ذلك م . ج . ميرسيي[224] الذي يترجمه ب «الله الحي» ؟ يأتي الاعتراض المركزي من كون هذا الاسم هجين ،

215 -De situ orbis, I, 8
216 -C. I. L., VIII, 9906, 9907
217 -C. I. L., VIII, 21704
218 -C. I. L., VIII, 16749
219 -C. I. L., VIII, 18809
220 -Iocoloni deo patrio
221 -C. I. L.، 5279
222 -C. I. L.، VIII، 19121، 19122، 19123
223 -C. I. L.، VIII، 12003

224- الآلهة الليبية : ص . 8-12

مكون من الفينيقية والأمازيغية . قد تم تقريبه كذلك ، لكن من دون احتمال كبير ، من المتعلق ب أباديري سانكتا[225] ، المذكور في نقش ب ميليانا[226] ويصنف ضمن الآلهة الفينيقية حسب س . ؤغسطين[227] . يمنح برسياه[228] اسم أبّاديا Abbadia للصنم المبتلع من قبل ساتورن .

لكن كيف ما كان المعنى الممنوح ل ئدّير Iddir ، لا يظهر أنه نستطع أن نجعل منه إلها أعلى لإفريقيا الشمالية . من المحتمل أنه حصلت ، تحت التأثير الروماني وبتقليده ، حركة حررت واحدا من الآلهة المحليين وجعلته في درجة أعلى من الآخرين ، على الأقل بالنسبة لموريتانيا ؛ هذا ما يبدو يشير إليه نقشان ، واحد ، ببوجي يعود ل Numini Mauretaniae et Genio Thermarum والآخر بعين كبيرا ، نوميني ماور وغ [229] . لقد اعتقد م . حليفي رؤية هذا الرب العلي في ثولاوس المذكور ، بحسب ما يقول ، في اتفاق بين قرطاج ومجلس شيوخ روما والذي يحس أنه عثر عليه في نقش ليبي[230] . قراءة هذا الأخير غير مؤكدة وأكثر من ذلك ثيول هو إله فينيقي . إن نحن سلمنا بقول الإسبان ، فالغوانش كان لديهم ، لحظة غزو الكناري ، إله أعلى . يورد فيانا[231] أنهم يهيمون بإله واحد ، غير منته ، عظيم ، عادل ،

225 -Schmidt, Cagnat et Dessau, Inscriptionum Mauritaniae latinarum supplementum, Berlin, 1904, in-fol., p. 2028
226 -C. I. L., VIII, 21481
227 -Ép. XVII, 2
228 -VII, 313
229 -C. I. L.، VII، 2052

230- 157--158أبحاث في نقوشلوجيا الليبية ، باريز ، 1874 ، في8 ،ص .

؛ Antiguedades de las Islas Afortunadas، p. 19- 231

رؤوف ، ينادى في لغتهم هوكانيشHucanech ، ، كواياكساراكس ، Guayaxarax ، (سماه فييرا أشكوياكسيراكسي Achguoyaxiraxi «حافظ العالم») ، أكوكاناك (سماه غاليندو أشوكانا Achucana) ، مينسيطو Menceito ، أكورون Acoron ، أكامان Acaman ، أكوهوروجان Acuhurajan (يسمى أشاهوراهان ، وأشكسوراهان من طرف فييرا ، وأشاهوابان Achahuaban مع غالديني) نعوت تعني «العظيم ، العاصم والخالق لكل كائن ، دون مبدأ وبلا نهاية ، علة العلل» . معنى هذه المفردات لم يعد ممكنا العثور عليه في الأمازيغية سوى ل أكورون وأكامان واللذان يعنيان «الكبير» و«السماء» . أسماء الغوانش المنقولة من طرف الاسبان تعرضت لتشويه كبير ، وهو ما يفسر بالأخطاء الطباعية وبجهل ، حيث كان الكتاب ، باللغة المستعملة بالكاناري . هكذا أشامان الذي يعطيه فييرا ، بمعنى «الله العلي» أكثر صحة من أكامان ويظهر قريبا من طوارق أووليميدن ب أووشينا aochina «السماء» (أنظر غوانش تينيريفي أشانو achano ، سنة) ، الذي يرتبط بجذر G N الذي منح بزواوا ثيگنوث thignouth ، سحب ونگني igenni ، سماء ، وفي لهجات أخرى أجينا ajenna وئجيني ijenni بنفس المعنى . لكننا لا نستطيع أن نمنح ثقة كاملة ل فييانا الذي

دو غولدبري : مقاطع سفر في افريقيا ، باريز ، في8- ، ج1 ، ص . 90 . باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص ، 170 .

يبرز ميله للكشف عند الغوانش لأطروحة شبيهة بالمسيحية بوجود إله أعلى وإبليس . ويذهب إلى القول أنهم لم يؤمنوا أبدا بأي صنم ، ولا هم شغفوا بهم وأنهم لا يبجلون سوى الإله الواحد . م . شيل ي . نارانخو قصّر هذا الإدعاء على طبيعيات لانزاروت[232] . نفس المؤلف كشف عن معطيات خاطئة من هذا الصنف[233] ، وفي النهاية ، دحض الادعاء مع اكتشاف ، في ق . 14 ، لأصنام بالكاناري العظمى[234] . والشغف بتلك التي تمثل امرأة عارية في صرح يسمى تيرما[235] Tirma . على كلام فييرا ، إله الناس سيسمى في جزيرة الحديد ثيراورانهان Eraoranhan (ثيراورانگان Eraorangan حسب گاليندو) ؛ لقد كان استقر مع أروريبا Aroreyba ، إلهة النساء ، على صخرتين لمبنطايْگا ، المدعوة اليوم كذلك Santillos de los Antiguos . بعد انصرافهم الى المسيحية ، أحب طبيعيو جزيرة الحديد المسيح والعذراء تحت أسماء ثيراورانهان وموريبو[236] . الله العلي ، على كلام ثيسبينوزا ، كان خلق الإنسان والأرض والماء ، بقدر ما منح للرجال كالنساء المواشي التي يمكن الاقتيات عليها ؛ سيخلق تاليا كثيرا من الناس ، لكن لم يمنحهم المواشي البتة . ولما كانوا يطلبون الاستزادة ، كان يجيبهم : احتفظوا بالسابقة وستطعمكم . هذه الطبقة الأخيرة من الكائنات التي

232 -Estudios historicos de las Islas Canarias, t. I. Las Palmas, in-8, 18761879-, p. 427-428.

233 -Chil y Naranjo, op. laud., p. 517518-.

234- ، فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص . 88-90

235- بيرنالد . حب ، باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص . 170

236 . باركر ويب وسابين بيرثلو : التاريخ الطبيعي لجزر الكاناريا ، ج . 1 ، قسم . 1 ، ص 168 -

خلقت تتركب من أشيكاكساك Achicaxac ، فلاحين ، في حين أن الأولى تتضمن النبلاء ، Achimencei ، والفرسان سيشيسيكيتزو Cichiciquitzo[237] .

لائحة الآلهة هذه يمكن أن تكون منتفخة أكثر ، لو توفرنا على الأسماء الأهلية للتي يحيل عليها الإغريق واللاتينيون ، لكن قصدوا الى دمجها بالتي لديهم ؛ وفي أحيان ذهب الأمازيغ بعيدا فصار الاستيعاب عندهم إعارة مارسوها بأنفسهم . مع ذلك ، بدا لي الوقوف عند روايات الأساطير المفبركة حول الأمازونيين ، الأطلانت وكذا ملوكهم ، آمون إلخ . ، التي تتمم الكتاب 3 . من المكتبة التاريخية ل ديودور السيسيلي . فانعدم فيها ما يجمعها إطلاقا بالتقاليد والعادات الدينية للأمازيغ . يقول هيرودوت[238] أن الليبيين هم الذين كشفوا بوزيديون ؛ لا أحد قبلهم نطق اسمه ، وأنهم شرفوه باستمرار كالله . يحدثنا ؤمبيليوس[239] عن أبولون خامس ، مزداد بليبيا (كورزيل ؟ Gourzil) . لكن الأكثر شهرة من هذه الآلهة هي أثيني ثريطوجينيس Athénê Tritogénis ، المزدادة ، حسب هيرودوت[240] ، بومبولوس ميلا[241] وبوزانياس[242] من بوزيديون ومن حورية ضايث تريتونيس . ليس هنا

237 -Alonso de Espinosa, The holy image of your Lady of Candelaria L. I, ch. 8, trad. par Markham, The Guanches of Tenerife, Londres, 1907, in-8.

238 - 50تواريخ . 1 . 2 ، ف 50.

239 -Liber memorialis, ch. IX

240 - تواريخ : 1 . 4 ، ف . 180

241 -De situ orbis, l. I, ch. 7

242- وصف اليونان : 1 . 1 ، ف . 4 -

المكان الملائم لدراسة شخصية تريتون كما قدمته النصب الإغريقية[243] ، لكن هيرودوت يذكر طقوسا أبوية تنفذها فييرجات الأوس على شرف إلهة محلية ، وبالتالي امازيغية ، والتي لم تكن أخرى غير تلك المسماة آثيني Athéné من قبل الإغريق . «يوم الحفل السنوي لآثيني ، تنتظم العذراوات على صفين يقاوم الواحد الآخر بالعصي وبرمي الأحجار . واللواتي ينتهي أجلهن جراء الجروح يعتبرن عذراوات مزيفات . بل المباراة ، تزين تلك التي تميز كجميلة بينهن بخوذة كورنثية وبخنجر إغريقي ؛ ويتم رفعها أكثر من ذلك على عربة ويطوفون بها حول البحيرة .» يشرح الإغريق هذه العادة كذكرى نزاع واصلته آثيني ، التي تربت عند تريطون Triton وبلاص بنت هذا الأخير ، إلى أن وجدت فيه حتفها[244] . ولقد وجد هذا التقليد ثانية على عهد بومبونيوس ميلا ، إن لم يكن قد استنسخ هيرودوت ببساطة . فهذا الأخير يرى أنه قبل الخوذة والقيراط اليوناني ، حملن أسلحة مصرية[245] .

النقش اللاتيني الذي عثر عليه بعين گوليا Goulea في تونس[246] والآخر بهنشير الماتريا[247] يشيران إلى إهداء خاص بتنين (Draconi

---

243 - Cf. Vater، Triton und Euphemos، Saint-Pétersbourg، 1849، in-8 ؛ Tissot، De Tritonide lacu، Dijon، 1863، in-8 ؛ Escher، Triton und seine Bekämpfung durch Heracles، Leipzig، 1890، in-8 .

244 - Apollodore, Bibliothèque, III, 12

245 . تواريخ : 1 . 2 ، ف ، 276 . انظر : - Escher، Triton und seine Bekämpfung، p. 79. A. J. Reinach، Itanos et l'inventio scuti dans Rev. de l'hist. des Relig.، mars-avril 1910، p. 198-201 .

246 - C. I. L., VIII, 15247

247 - C. I. L., VIII, 15378

(augusto) . ربما تم تقريب هذه الإلهة من الثعبان البرونزي ذي الرأس الذهبي الذي أحبه اوثنيون ب ثيبازا Tipasa ، على رابية المعابد ، والتي ، في ق . 5 ، رماها القديس سالسا في البحر ، الأمر الذي عرضه لعقاب . ليس ثابتا أن تكون بقايا من عقيدة ئيسشمون[248] Eschmoun ، وملخص حماس القديس سالسا ليس قاطعا بهذا الخصوص[249] . مع ذلك ، لاشيء يبين أن عبادة الثعبان كانت محلية يوما بالنسبة للأمازيغ .

من جهة أخرى ، معبد الآلهة الأمازيغي استطاع الاغتناء بفضل تأليه الملوك ، على الأقل زمن الاستقلال ، نحن على علم بجملة مينوسيوس فيليكس : Deus est، Mauris volentibus، Et Juba[250] . خصص نقش لاتيني[251] ل يوبا بالضبط وللجني فانيسيونسيس ب تاسامّرت Tassammert . من جهته ، يقول تيرتوليا :

Unicuique etiam provinciae et civitate deus est. . . et Mauritaniae reguli sui[252] .

عثرنا في بوجي على قطعة نقش مرفوع الى الملك بتوليمي ، ابن يوبا[253] ؛ وآخر بالجزائر[254] ؛ في شيرشيل ، لجيني الملك بتيلومي[255] . ربما

248- جسيل : تيبازا ، روما ، 1894 ، ص . 310-311 -

249- جسيل : أبحاث أركيولوجية ، ص . 1- 3 . -

250 - Octavius, ch. XXIII

251 - C. I. L., VIII, 17159

252- التبريرات ، ف ، 24 . -

253 - C. I. L., VIII, 9127

254 - C. I. L., VIII 9257

255 - C. I. L., VIII, 9342

كانت عبادة مستعادة دفعت سكان ثوبورسيكوم نوميدروم (خاميسا) إلى تكريس ابن غودا[256] Gauda كمعبود هيمصال ، وهو ما يفسر التكريم الذي حضي به گولوسا Gulussa ، ملك نوميديا ، ابن ماسينيسا[257] تبعا لنقشين اعتبرا فاسدين مع سوء نية خفيفة من طرف مومسن الذي انتهى بالاحتكام إلى البداهة في النهاية مع الاعتراف بخطئه[258] . لكن من المحتمل أن تقتفي افريقيا البراديغم الذي تقترحه روما بالنسبة لتأليه القياصرة ، كما يمكن أن نتعرّفه من خلال التقريب الذي أنجزه لاكتانس

Hac scilicet ratione Romani Caesares suos

consecraverunt et Mauri reges suos. . . et plus loin: Singuli populi. . .

summa veneratione coluerunt ut Aegyptii Isidem‹ Mauri Jubam› [259]

لقد عاين بومبونيوس[260] حدث : «سكان سواحل افريقيا ، منذ أعمدة هيركيل ، تبنوا في كل شيء عاداتنا وتقاليدنا ، باستثناء ثلة احتفظت بلغتهم البدائية ، وكذا بآلهتهم والعبادة التي يزاولها أسلافهم» . ملاحظة بومبونيوس ميلا مؤكدة من قبل ابن خلدون : «تقر أنه يحدث ، من وقت لآخر ، أن يمارس الأمازيغ دين المنتصرين ،

256 -C. I. L., VIII, 7* (17159)
257 -C. I. L., VIII, 7*
258 -Masqueray, Les Additamenta ad Corporis volumen de M. Schmidt, نشرة المراسلات الإفريقية, 1885, Alger, in-8, p. 161163-.
259 -Migne, Patrologia latina, t. VI, col. 194
260 -De situ orbis, l. I, ch. 6

لأن أمما قوية أخضعتهم»[261] . هل يمكن أن نضيف أن سبتيم سيفير ، أفريقي الأصل ، قد نظر له كإله من طرف الأفارقة[262] . إنه الأمر الذي يفسر كمية النقوش الهائلة على شرف المعبود المتبنى والذي لم يستوعب حتى من طرف الأمازيغ الذين يأخذون آلهة بعد الخاصة بقرطاج : جوبيتر ، جونو ، بلوطو ، بالاس ، فينوس ، أبولو ، ديان ، الحوريات ، نيبتو ، ميركور ، بيلون ، سيريس ، هيركو ، مينيرف ، مارس ، ئسكولاب ، ديوسكورات ، تيلوس ، هيجي إلخ . وحتى المعبودات الشرقية كميثرا ، مالاكبال ، ماتر ماغنا ، جوبينر دولشنوس ، جوبيتر هيليوبوليطنوس ، ئزيس ، سرابيس . يلزم إضافة باكوس-ليبر ، لأنه بخطأ اعتقدنا أننا عثرنا على اسم باخوس بسبب قراءة خاطئة لاسم ياكوش Yakouch الذي هو من أصل أمازيغي[263] ، حين تمت ترجمته كنعت عربي ليس له أي صلة مع ديونيسوس . وجود حقول كروم بإفريقيا لا يبرر أبدا الفرضيات التي غامر فيها م . لوفبير[264] ومن بعده م . بيرثولو[265] . لكن من المستحيل تقريبا القيام بفرز بين العباد ، مستعمرين أو جنود رومان ، جنود مهاجرين ، سكان من أصل فينيقي ، ملونين أمازيغ وفينيقيين أو لا تينيين ، أو في النهاية أمازيغ صرف .

261- كتاب العبر ؛ ج . 6 ، ص . 106 -
262- التاريخ الجليل ، سبتيم سيفير ، ف . 13 -
263 - اسم الله الأمازيغي عند الاباضيين ، الجزائر ، 190 ، في8- ؛ باصي : اسم الله الأمازيغي عند الاباضيين ، سوس ، 1906 ، في8-
264- السياسة الدينية للأغريق في ليبيا ، الجزائر ، 1902 ، في8- ، . 22-38
265- بحث في ديانة الليبيين ، المجلة التونسية ، 1909 ، ص .31-32 -

ربما وجب أن ينسب للأمازيغ ، إلى جانب عبادة ملوكهم تلك الشخصيات الشبيهة بأنصاف آلهة العصور القديمة والذي يشكل ميلادها وقامتها الضخمة موضوع عدد من الخرافات . يحكون طبعا أن أخت يعلى محمد الإفريني قد أنجبت ابنا من غير اتصال بأي رجل ، حين كانت تستحم بعين ماء ساخن تنزل الحيوانات المفترسة للارتواء منها حملت بسبب رضاب أسد : الابن سمي كيلمارن بن الأسد وحمل عنه ملامح خارقة للعادة . يضيف بن خلدون أن الأمازيغ يحكون عددا كبيرا من الحكايات التي من هذا الصنف بحيث لو قيض لها أن تدون لملأت عددا كبيرا من المجلدات[266] . فلمثل هذه الاعتقادات ، التي تم تكييفها مع العادات الإغريقية أو اليهودية ، ما يلزم ربط خرافة اكتشاف جسد أنطي Antée ، الذي لا يقيس أقل من ستين ذراع ، كما لاحظ سرتوريوس ذلك ، على كلام غابينيوس ، في تاريخه الروماني ، حين تم القيام بفتح ، قريبا من ليغنا في موريتانيا ، قبر هذا العملاق ، الذي ادعى أنه اغتال يوبا بواسطة ابنه سوفاكس[267] . هل هي ذكرى لهذا النوع الذي نستطيع استخراجه من النشيد 8 من بيريستيفانون ل بريدونس ، حتى يقول أن تينجيس يمتلك الأضرحة الجنائزية للملوك الماسيليين[268] . على أيامنا كذلك ،

266- كتاب العبر ، م . 6 ، ص . 106 ؛ عن تقاليد من هذا النوع ، انظر ، فان جينيب : دين عادات وخرافات ، باريز ، 1903 ، ص . 14—25

267- سترابون : جغرافي ، 1 ، 17 ، 3 ، ف 8 . ؛ بلوتارك : حياة سيرتوريوس ، ف . 9 . –

268 -Migne. Patrologia latina, t. LX, Paris 1862, col. 364. Le commentaire de D. Ruinart, Acta primorum martyrum sincera, Amsterdam, 1713, in-4, p. 469, note 11, reconnait son incertitude.

يشير سكان أرزيلا بالمغرب إلى بصمة رجل عملاقة على صخر، تصور أثر أجدادهم»[269] . عملاق آخر، استولت عليه التقاليد الإسلامية واليهودية تحت اسم سيد ؤوشاعا (خوسي) مدفون على شاطئ البحر عند آيت شعبان، بمنطقة نيضروما . إن صفا من الحجر يسجل طول الجسم الذي يتجاوز جدار القبة حيث يوجد قبره ويأتي لينتهي على غرار حويتا h'aouitah[270] .

من بين الكائنات العجيبة التي حفظت عبادتها جيدا بعد الانتقال للإسلام، يجب ذكر فصيلة من الجيني التي لا تعرف سوى باسمها العربي شماريخ، في ق . 11 من عصرنا، عند آيث ؤورسيفان . «إذا أرادوا مباشرة الحرب تقربوا بذبح بقرة سوداء للشماريخ وهم عندهم الشياطين ويقولون هذا ذبح الشماريخ . حين يذهبون صباحا للقتال توقعوا حتى يروا زوابع الريح، فيقولون قد جاءت الشماريخ أولياؤكم لنصرتكم، فيحملون عند ذلك فينتصرون بزعمهم ويقولون أن ذلك لا يخطئهم، وجماعتهم يعتقد ذلك غير مستترين به، وهم إذا رحبوا بالضيف جعلوا من طعامه للشماريخ ويزعمون أنه يأكلونه الذين يوضع لهم وهم في كل ذلك يتجنبون ذكر اسم الله»[271] . حفظ لنا المؤرخون العرب ذكرى جينيات يعاشرن كاهينا، ديهيا، ابنة ثابيت

269- ل . دو كامبو : امبراطورية تنهار، باريز، د، ت . ص . 233 . -

270- انظر . ر . . باصي : نيضروما وآيث ثرارا . باريز، 1901، ص . -76 77 . -

271- البكري : وصف افريقيا، ص . 188-189 . لكن الاحالة الكاملة فهي على الشكل التالي : المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب . وهو جزء من كتاب : المسالك والممالك، تاليف ابي عبيد البكري -

(؟) من قبيلة دجراوا التي قاومت لزمن طويل وبنجاح المسلمين بل وطردتهم من إفريقيا . فهذه الجينيات الأليفة من أبلغنها بالانتصار النهائي للعرب وحثوها على إرسال أبنائها كي يسلّموا أنفسهم لهم قبل المعركة الكبرى حيث قضت نحبها[272] . هذه الملكة التنبؤية نقلها لنا مرة أخرى بروكوب[273] : خلال حملة دو بيليزير ضد الوندال ، التجأ المغاربة ، خشية من أن يلحقهم بعض الضرر ، إلى تباشير النساء . بعد بضعة احتفالات ، يتكهن بالمستقبل على غرار وسطاء الوحي القدماء . عند اواسط ق . 10 من زمننا ، عند أهل غمارا بالمغرب ، كانت تانگريتTangrit ، عمة ها-ميم Ha-Mim ، ودادجّو Dadjdjou ، أخت هذا الأخير ، الذي أسس ، كما سنرى فيما بعد ، دينا خاصا ، عرافتين مشهورتين والاعتقاد بالأولى تدخل كمكون من قرآن ابن أخيها[274] . بروكوب لم يخبرنا عن الاحتفالات الأولية المستعملة من قبل النساء المغربيات لأجل التكهن ، لكن الطريقة التالية جارية عند الطوارق في الإسنام قرب غدامس . «أثناء غياب الرجال ، تذهب النساء المجملات بملابسهن الزاهية للقعود قرب قبور الزهابرة (من العربية جبار : عملاق) الذين يعتبرونهم من ذرية سابقة على التي

272- ابن عذاري : تاريخ افريقيا واسبانيا ، طبعة دوزي ، ليدن ، -1848 51 ، مجلدان ، 1 ، ص . 22 ؛ ابن خلدون : كتاب العبر ، م . 6 ، ص . 109-110 ؛ م . 7 ، ص . 9 ؛ وتيدجاني : أسفار ، ترجمة ، روسو ، باريز ، 1863 ، ص . 65 ؛ سفر مولاي محمد ، تبعا ل بيربركجر : أسفار في الجنوب الجزائري ، باريز ، 1846 ، في4- ، ص . 236-237

273 -De bello Vandálico, L II, ch. 8

274- البكري : وصف إفريقيا ، ص . 100 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ط . تورنبيرغ ، أوبسالا ، -1843 1846 ، مجلدان ، في4- ، م . 1 ، ص . 62ح ابن خلدون : كتاب العبر ، م . 6 ، ص . 216 -

لهم فيستدعون الجيني الذي يعلمهن . اسمه هو أدبني (الضريح ذاته يسمى أدبني) ؛ فهو يتبدى لهن على هيئة عملاق ، بعيون تشبه التي للجمل ويمنحهن المعلومات المطلوبة . النساء ، لأجل هذه الزيارة ، يلزمهن تفادي حمل أي شيء يكون من الحديد أو الفولاذ ، ولو كان إبرة[275]» . نفس الاحتفال يجد مكانه ب عايير Aïr ، لكن خلال الليل[276] . «على أطراف غور يغطي واد أوودجيديت ، في شمال الصحراء ، نعثر على قبور كبيرة شبيهة بالتي توجد على المنحدرات الصخرية لتابلبالت . شكلهم إهليلجي ، فيما محورهم الكبير ، موجه شرق-غرب ، يتراوح بين 20 و45 متر . الجوانب مشكلة من كومات حجر متوسط السمك . طوارق أزجر يعودون بهذه الرمس إلى ذرية ضاربة في القدم . حين يكون لامرأة حبيبا ، قريبا أو زوجا بعيدا عنها لسبب معين ، إن هي ذهبت لتنام وسط النهار في واحد من هذه المقرات الحجرية ، فمن المؤكد عندها أن تحصل على مشاهدات ، تستقبل أرواح ، أخبارا عن الغائب . كما يعتقد الطوارق أن هذه القبور تحتوي كنوزا[277]» . لكن ، مهما قال بروكوب[278] ، فعطية النبوة توهب كذلك للرجال الأمازيغ . كي لا نورد سوى مثالين ، عند أهل كتاما ، العراف فيلقْ يتنبأ ، بمناسبة حروبهم الأهلية ، أنهم سيرون الحرب

275- دوفريي : طوارق الشمال ، ص . 415 ؛ الصحراء الجزائرية والتونسية ، باريز ، 1905 ، ص . 203 ؛ بن هازيرا : ستة أشهر عند الطوارق ، ص . 63

276- إ . فون باري :غاط وطوارق عايير ، باريز ، 1898 ، ص . 187-188 -

277 فورو : من الجزائر إلى كونغو ، باريز ، 1902 ، في8- ، ص . 65-66 -

278- دوتي : السحر والدين في شمال افريقيا ، الجزائر ، 1909 ، ص . -31 33

الحقيقية حين يصل عندهم الشرقي ، ببغلته البيضاء . هذه النبوة ذكّر بها مدرس عند وصول الدعي عبد الله ، المبشر الفاطمي ممتطيا بغلة بيضاء[279] . العرافون أنفسهم أعلنوا أنه ، في مملكة بالمغرب ، حين يقع اتصال بين الكوكبين العلويين ، ينهض ملك ليغير شكل العملة . مالك بن واهب أقنع أمير لمتونا علي بن يوسف أنه للمهدي بن تومرت ما تحيل عليه النبوءة وكذا الأبيات الشعبية :

ضع له عقالا في الرجلين ؛
وإلا ، جعلك تسمع الطبل[280]

تلزم كذلك الإشارة إلى الاعتقاد بالغول الذي يلعب دورا كبيرا في الخرافات الشعبية الأمازيغية ، يبقى الاحتراز ضروريا لتفادي ما يعود للمقتبس ، إذا أخذنا في الاعتبار السهولة التي تسافر بها الخرافات . والحال هذه ، نستطيع العثور على آثار الأصالة الخاصة ببعض هذه التقاليد . عند فاضلة وبني عقيدان ، قبائل أمازيغية غرب مصر ، يذكر أن كثيرا ما تتبدل صورة المولودة عندهم فتصير في خلق الغول والسعلاة si'lah وتعدو على الناس حتى تغل وتقيد[281] . المؤلف العربي يذهب إلى حد ذكر شاهد عيان لهذا الحدث ! إنه معطى خرافة حديثة تم جمعها بوارغلا : حكاية أب وصغيرته الغولة[282] ، وأساس تهمة موجهة

279- ابن عذاري ، 1 ، ص . 120 -
280- ابن خلدون ، 6 ، ص . -238
281- البكري ، ص . 4 -
282- بيارناي : دراسة حول اللهجة الأمازيغية لوارغلا ، باريس ، 1908 ، في8- ، الحكاية 9 ، ص 255 و257 .

ضد أولاد ستوت (أبناء الشريرة) ، قبيلة ريفية ، مشهورة بميلها لقطع الطرق . «في الأصل ، نشاهد ستوت مع أبنائها الثلاثة تعدو أرضا ما تزال قاحلة ، تلتهم الأشخاص وتغذي صغارها باللحم البشري . لا نعلم من أين أتت ، لا نعرف لها أي ذكر ، غولا أو رجلا ، الأمر الذي قاد للقول فيما بعد أن أبناء ستوت ليس لهم أب . بعد أن خربت الصقع لسنوات طويلة ، تغبر فجأة ؛ ولن ترى أبدا . لكن صغارها سيمكثون في صحراء غاريت : إنهم ياكلون أصلا ذرية ولاد ستوت الحالية[283]» . الأسماء التي ينعت بها الغول ، هي في الغالب ، من أصل أمازيغي . إن نحن صادفنا تلك القادمة من العربية ، كالغول أو زلوما ، في مكان آخر ، في منطقة الريف بالمغرب ، في لقصور ، بوارغلا ، نجد أمزا amza ، عند آيث مناصر أميزamez ، المؤنث ثامزات thamzat أو تامزا ، التي تشتق من الجذر م . ز . ، امسك ، اخذ ؛ عند زواوا أواغزنيو aouaghzeniou . تحمل الغولة كذلك اسم تاغوزانت taghouzant في شلحة ثازروالت ، تسيريال tserial عند زواوا . لكن ، في الحكايات ، حصل خلط مزعج للتقاليد الخاصة بسكان البلد القدامى ، الوثنية أو المسيحية ، تعرف كذلك باسم جهلاء وبتلك التي يكون الغول موضوعها ، إلى حد أن يحتل بعضها في الغالب مكان أخرى .

ما هي الاحتفالات التي تتكون منها عبادة الآلهة ؟ نحن مضطرون للتخمين ، على الأقل فيما يخص الآلهة المحض أمازيغية . ففي كل

283- موليبرا : المغرب المجهول ، م 1، وهران ، في8- ، ص . 183 -

مكان ، فعلا ، يحصل تماس واستيعاب ، فالاحتفالات تكون فينيقية ورومانية واحتمالا ، في بعض النقاط ، إغريقية . الغوانش ، كونهم احتموا بفضل عزلتهم ، استطاعوا تشكيل عبادة خاصة . الطريقة التي يمارسونها لحماية محنطاتهم ، مثلا ، والتي يتولى أمرها طبقة معينة ، تكشف عندهم ، إلى جانب خاصيات مشتركة ، تطورا أصيلا ، ولو لم يبلغوا بعد فكرة خلود الروح أو التي تهم التعويضات والعذابات المقبلة[284] . يستشهد فيانا بزاوية متدينات تسمى هاريماگواداس (تنويع هاريماگاس Harimaguas ، ماگاس Maguas) يعشن بشكل جماعي ، يقمن بوعد بكارة مؤقتا ، يعلمن الأطفال وكما رأينا ذلك سابقا ، يحضرن بعض الطقوس للحصول على المطر ، في هذه الحالة ، يكون ممنوعا على الرجال أن ينظروا لهن[285] . البيت الذي يقطنّه يسمى تاموگانتين أكوران Tamogantin acoran ، بيت الله (بالأمازيغية تيگمّي تين ؤمقران ؟ tigimmi tin amoqran) . بخصوص الاحتفالات ، نستطيع ذكر المشورة بواسطة النوم[286] . لقد ذكرت أعلاه أمثلة يمكننا أن نضيف لها هذا : قديما ، ينام آيث أوجيل (من واحة أودجيلا) على القبور ويأخذون كأجوبة الأحلام التي أخذوها خلال نومهم[287] ؛ كانت كذلك

---

284 - Alonso de Espinosa, The Guanches of Tenerife, t. I, ch. IX, The Mode of Interment, p. 4041- ; Glas, The history of Canary Islands, p. 74 ;

فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص ، 79-84

285 -Antignedades de las Islas Afortunadas, p. 2223-; Gomez Escudero ap. Chil y Naranjo, Estudios, t. I, 520, 521, 522, 526 ; Glas, The history of Canary Islands. p. 69-70 ؛ فيرنو : إقامة خمسة أعوام بجزر الكاناريا ، ص86 .

286- انظر . دوتي :السحر والدين بشمال افريقيا ، ص . 410- 416 ، والمؤلفين المذكورين-

287 -Pomponius Mêla: De situ orbis, l. I, ch. 8

عادة نسامونس[288] . لكن البكري يشير إلى حالة حيث هذا النوع من التخمين ليست له أي صلة مع المقابر أو الأموات . كان ذلك في الرّيفْ على جانبي نهر لاو .

يمكن الكلام كذلك عن الحفلات التي سميناها موسمية والتي استمرت في تعيين ، عند أغلب الأمازيغ ، أهم تغيرات السنة . لقد رأينا ، ليس عن غير حق ، آثار عبادة طبيعية ، يمكن أن نربطها ببقايا طقوس فلاحية . هكذا تبدو ضاربة في القدم وأنها مورست من دون تدخل وزراء متميزين ، فلا يتم الاحتفال بها في المساجد ، لكن قرب مقابر الأولياء الشعبيين ، وتتوجه لأشكال لا مرئية وليس لأشخاص مقدسين . الاحتفال الأساسي هو الذي يهم ينّاير ، وهو حاسم بالنسبة للسنة عن آخرها ؛ وأما الخاص بلْعنصرا التي يمكن أن تسمى عيد لْما ، احتفال عاشوراء إلخ . لكن ضرورة ملاحظة أن السمات المميزة لهذه الاحتفالات ، إعادة حياة أو موت الأعشاب ، التطهير بالنار والماء ، ليس لها أي امتياز عند الأمازيغ ولأننا نجدها عند الساكنة الأكثر تنوعا . يكفي إذن التأشير عليها[289] .

لا نستطيع التأكيد أن التقاليد التالية ، بالرغم من حدوثها بإفريقيا ، أنها ذات أصل أمازيغي . يورد لنا بلين القديم بأنه في هذا

288- هيرودوت : تواريخ ، 1 ، 4 ، فصل . 172 -

289- انظر بالخصوص عن هذه الحفلات : . دوتي :السحر والدين بشمال افريقيا ، ص . 541-584 ؛ من بين المصادر المذكورة ديستاين : يناير عند آيث سنوس ، الجزائر ، 1905 ، في8- ؛ الاتفالات الموسمية عند آيث سنوس ، الجزائر ، 1907 ، في8- ؛ سعد بوليفان نصوص أمازيغية بلهجة الأطلس المغربي ، باريز ، 1909 ، في8- ، ص . -146 167 -

البلد « لا أحد يستطيع القيام بأي شيء دون ان يذكر قبلا اسم أفريقْ Afrique ، في حين أنه في بلدان أخرى ، يتم الانطلاق بسؤال الآلهة إرادتهم الحسنة [290]» . إزيدور ونيمفودور ، المستشهد بهما من قبل نفس المؤلف[291] ، ينقلان أنه توجد بإفريقيا أسر تمارس الإبهار « والتي ، بفضل الكلام الساحر ، يبيدون القطعان ، ييبسون الأشجار ويهلكون الأطفال»[292] . لكن في الأمثلة الموالية يتعلق الأمر بأمازيغ : بتامرنا ، في الصحراء ، بين صاباب وجبال تارغين ، جماعة يسكنها بنو گلدين Geldîn والفازانا ، حين تقع سرقة ، يخط السكان كتابا يداولونه فيما بينهم : فتتملك السارق حالا رجفة ولا يفتر إلا حين اعترافه بخطئه وإرجاع ما اخذ ؛ ولا يستعيد هدوءه إلا حين يتم محو ما كتب[293] . في واحد من جبال مادجيكسا بمنطقة الرّيفْ ، يعيش سحّار يسمى ابن كوسيا : هذا الاسم الذي يعني ابن (رجل) المعطف الصغير كان بالطبع كنية مستلفة من طريقة عمله . لا أحد يتجرأ على منازعته أو الاحتجاج على اختياراته : في حالة العكس ، يقلب كساه التي يلتحف بها وفي الحين يصيب المرض هذا الشخص أو الحيوانات ؛ إن كان معارضوه أكثر عددا ، فسيصيبهم جميعا ما أصابه . وكان يوهمهم ان ومضة تلمع من تحت كسائه ؛ ولبنيه وعقبه ما ورثوه من نفس

290 - ؛ ذكره : أولو جيل : الليالي الاثينية ، ن . م . LXXVIII، ch. V، § 2التاريخ الطبيعي :

291- التاريخ الطبيعي : 7 ، 2 ؛ ذكره أولو جيل : ن .م . 1 ، 9 ، ف . 4

292- عن العين السيئة في المعتقدات المتأخرة ، انظر ، . دوتي :السحر والدين بشمال افريقيا ، ص . 3117-318 ، والكتاب السابقين -

293- البكري : وصف إفريقيا ، ص . 10

السلطة[294] . في الرّيفْ كذلك ، عند غمارا ، قبيلة آيث شداد ، فرع من آيث وحلاوت ، يعيش امرؤ وكان معه على الدوام عدل مملوءة برؤوس الحيوان وأنيابها برها وبحرها قد نظمها في حبل ، واتخذها كالسبحة ؛ يمررها على عنق من قصده للفحص ، ثم قلقلها عليه وانتزعها بعنف ؛ وجعل يشمها واحدة بعد أخرى إلى أن تقف يده على واحدة من بينها ، عندها ، يجيب عن الاسئلة التي وجهت له كيفما كانت ، فيخبر ، دون أن يخطأ ، المرض ، الموت ، الربح والخسارة ، الرفاه أو الضيق ، الخ[295] . كان غماريا كذلك موسى هذا ، ابن صالح ، الذي عاش قبل الهجرة والذي خلف لنا مرة أخرى حتى القرن 14 «أحكاما قاضية ، محررة بالأمازيغية وتتضمن بوفرة تكهنات تخص السلطة التي على الزناتيين ممارستها في المغرب» . يذكر ، كدليل على صحة هذه النبوءات ، تحقيق تلك التي تبشر بخراب تلمسان : بيوت هذه المدينة مقدر عليها أن تصير حقلا يحرثه أسودا ، بواسطة ثور أسود وأعور .

حدثت الواقعة بعد تهديم تلمسان ، بين 760 و770 هـ ، من طرف المرينيين ،لكن إذا كان البعض يعتبرونه نبيا ، فالبعض الأخر يأخذونه كساحر ؛ في كل الحالات ، الجميع يسلم له بامتلاك قوة خارقة[296] . نعثر كذلك ، عند الكتاب العرب ، ذكر لشخصيات مارست السحر ،

294- نفسه ، ص . 101-
295- نفس المعطيات -
296- ابن خلدون : كتاب العبر ، 6 ، 106 ، 276 ؛ 7 ، 51

على غرار محمد الكتامي ، أو عمر وابنه عبد الله ، شيخ سكسيوا ، لكن هذا التعبير يلزم فهمه بالسحر كما استوعبه المسلمون ، علم مستورد وليس من ابتكار الأهالي . شهرة النساء الأمازيغيات كونهن ساحرات كانت ثابتة منذ القدم كما تكشفه المفارقة التاريخية عند فيرجيل الذي جعل ديدون يستشير كاهنة من ماسيليا كي تبقي على ثيني Énée بواسطة حيلها السحرية[297] . على أيامنا كذلك تمارس نساء جرجورا الرقيات ، التي يستعملون لها بعض الأعشاب ، لدينا شاهد على ذلك من أغنية شعبية تبدأ على النحو التالي :

سلام عليك ، يا ئدعميم id'mim (aubépine)

الناس يسمونك دميم

أنا ، أناديك القايْد الآمر ؛

حوّل زوجي حْمارا[298]

أحمل عليه تْبنا .

النباتات الأخرى المذكورة هي جذور النخل القصير (ثاكونسا thagounsa) ، السدر (thazouggarth) ، فاكهة الصنوبري ، صنوبر ، أرز أو تنوب (azinba) ، السنديان الأخضر (kerrouch)[299] .

297- الانيادة :4 ، -483 198 ، -504 521

298- الحكايات الشعبية الأمازيغية تشمل العديد من أمثلة التحول ، لكنها تبقى مستعارة

299- هانوتو : الأشعار الشعبية بجرجورا القبايلية ، باريز ، 1867 ، في8- ، ص . 308-312 -

(II)

لقد لاحظنا أن الجزء الأعظم من يهود شمال إفريقيا ، يستثنى منهم الذين في عصور معروفة ، طردوا من أوربا بفعل الاضطهاد ، لا ينتمون للعرق الإسرائيلي ، ونعتبرهم عن حق من سلالة الأمازيغ الذين تبنوا اليهودية خلال العصر الروماني . في عصر ؤغيست ، نرى ازدهار الملاّحات colonies اليهودية في سيرينايك[300] وفي ليبيا والقيامة المتوحشة التي انفجرت في نفس الوقت ، تحت تراجان ، بقبرص ، في بابل ، مصر وفي سيرينايك والتي قمعت بشراسة ، لم تمنع الجماعات اليهودية من التطور كما نراها في نقش بمعبد يهودي عثر عليه في حمام الأنف[301] . أهميتها صارت بحيث أن الكنيسة الكاثوليكية أتخذت ، كي تمنع التواصل بين المسيحيين واليهود ، احتياطات تحولت بسرعة ، مع الأباطرة المسيحيين ، الى إجراءات صارمة ، لم يعلقها سوى انتصار الوندال لتعود ثانية مع انتصار بيليزير Bélisaire والبيزنطيين . يمارس التبشير بشكل طبيعي في الطبقات الدنيا من الساكنة بل وعند مختلف القبائل الأمازيغية . لكن من أي طبيعة كان هذا التبشير عند هؤلاء الأخيرين ؟ إلى أي حد بلغت ممارسة العقائد والتقيد بتعليم العرف اليهودي ؟ هذا ما نجهله ولا نعرف إضافة إيمان إلى رواية عصر

300- مدينة اغريقية بافريقيا Cyrénaïque

301- C. I. L., 12457

أدنى لم تعد له سلطة كأن يفتح إفريقيا مثلا ، لقد ذكر لنا الكتّاب العرب بعض القبائل التي ، عند وصول المسلمين ، كانت يهودية ، إلا أن أخبارهم كانت متضاربة .

هكذا ، في مقطع ، يذكر ابن خلدون من بين القبائل اليهودية ، دجراوا الذين يقطنون الاوراس ، ونفوسا ، وفندلاوا ، ومديونا ، وبهلولا ، وغياتا إضافة لفازاز في المغرب الأقصى[302] . نعلم أن كاهينا ، كاسم غريب عند العرب ، كان لديها ، حسب التقليد ، أقارب من الجن . البكري[303] وابن عذارى[304] ، كونهما يسبقان ابن خلدون ، يسميان كمسيحيين أهل نفوسا ، وآثار الكنائس المتبقية التي حفظت اسمهم في جبل نفوسا تدعم رأيهم . من جهة أخرى ابن خلدون نفسه ، يقول في مكان آخر[305] أن قبائل فندلاوا ، بهلولا ، مديونا وسكان منطقة فازاز يمارسون إما المجوسية (الوثنية) ، إما اليهودية ، أو المسيحية . الموقع الذي شيدت فيه فاس كان مأهولا بقبيلتين من زناتا : زواغا (بنو الخير) وبنو يارغوش ؛ البعض يمارس الإسلام ، والبعض اليهودية ، والباقي الوثنية . هؤلاء الآخرون بالضبط كان لهم معبد بشيبوبا ، حيث سيبنى تاليا حي الأندلس . ابن أبي زرع الذي حفظ لنا هذه المعلومة[306] ينعت الوثنيين باسم الماجوس (mages) ؛ ويسمي بشكل طبيعي معبدهم

302- كتاب العبر ، 6 ، ص . 107
303- وصف إفريقيا ، ص . 9-10
304- تاريخ إفريقيا واسبانيا ، م . 1 ، ص . 3
305- كتاب العبر ، ج ، 4 ، ص . 12
306- الروض القرطاس ، 1 ، ص . 15

بيت النار . هذا المقطع كان قد نسخه ابن خلدون[307] . كذلك ، كانت بلاد تيمسنا (شّاويا الحالية) ومدن شالاّ وتادلا مسكونة في جزء من قبل اليهود والمسيحيين الذين تحتم عليهم قبول الإسلام خلال غزو هذه المنطقة بقيادة إدريس I . إنه إذن لمغامرة أن نرغب في تعيين هذه أو تلك القبيلة هي حصرا يهودية أو مسيحية : يبدو لي مطابقا للحقيقة القول أن كل قبيلة تضمنت أسرا ، وربما فخذات ، يهودية بأعداد جد مهمة كي تتمكن من البقاء مستقلة ، على الأقل في المغرب ، حتى نهاية القرن الثاني الهجري ، بزمن طويل بعد غزوات عقبة وموسى . إلا أن اليهودية الممارسة اليوم من قبل الخَلَف الأمازيغي الذي تحول إليها لا تقدم شيئا يميزها عن اليهودية التي تمارس في المناطق الأخرى من العالم المتحضر ؛ في حين أن الشعوذة المحلية ، فهي شأن مشترك مع المسلمين[308]

307- كتاب العبر ، ج ، 4 ، ص . 13 .

308- انظر . كاهين : اليهود في افريقيا الشمالية ، ملخصات وأبحاث المجتمع الأركيولوجي لقسنطينا ، م . 11 ، 1867 ، ص . 102-108 ؛ مونصو : الملاحات اليهودية بإفريقيا الرومانية ، مجلة الدراسات اليهودية ، م . XLIV ; R. Basset, Necromah et les Traras, p. VII-XVII.

(III)

نحن نجهل بأي طريقة تم نقل المسيحية للأمازيغ ،لكن من المحتمل أن نقطة الانطلاق يمكن بحثها في المدن الكبرى وكذا المنازل الأولى التي يلزم أنها كانت ، كما في روما ، للجالية اليهودية . فالتقسيم لن يتأخر في الحصول لتصير الكنيسة الإفريقية في الحال أكثر ازدهارا . إلا أن تاريخها ينتمي أساسا للخاص بالمسيحية ، ولن نستطيع تمييز الذي ، في تطوراته وانقلاباته ، يعود بخاصة للأمازيغ .

نستطيع أن نسلم في هذه الحال أنه من عند هؤلاء الأخيرين ، على الأقل في المناطق الخاضعة مباشرة لروما ، يتم انتقاء الدوناتيين ، بدلا من المنشقين ومن الهرطقيين ، وكذا السيركونسيليين الذين كانت حركتهم ، بالرغم من طابعها الديني ، كالتي للباغود ، إجتماعية أكثر من وطنية . لائحة المطرانيين الأفارقة (قنصل روماني ، البيزنسي ، النوميدي ، الموريتاني : السطيفي ، القيسري والتينجاوي ، الترابلسي) تظم حشدا من الأسماء أغلبها أمازيغي ، بالرغم من صعوبة التحقق منها جميعا : فهذه الأسماء تعود في الغالب لقرى بسيطة ، مادام امتداد المطرانية كان ضيقا للغاية . سمحت الآثار النقوشية بالتعرف على بعضها ويبدو أن الكثافة السكانية ، مع حذف المستعمرين الرومان وبعض الأجانب ، مركبة من الأمازيغ أو على الأقل من الملونين الذين يغلب عندهم الدم الأمازيغي . وفيما يخص القبائل

الخاضعة بشروط أو المستقلة التي تنتشر عندها المسيحية ، نستطيع أن نفترض أن الارتداد ، كما على نقاط مهمة من العالم المتوحش ، كان قد تم بوسيلة الأسْر التي وفرتها لهم الاقتحامات التي نفذوها . سيطرة الوندال الآريين لن تغير شيئا من واقع الأمور ، إن لم يكن ، المضطهِد ، ستصير الكاثوليكية ، باستثناء فترات قليلة ، مضطهَدة بدورها ولن تنتصر إلا بفضل نجاحات البيزنطيين[309] . في هذه الحال علينا أن نذكر ، كشيء مهم في تاريخ المسيحية عند أمازيغ غرب الجزائر ، وجود مملكة مسيحية محلية بداية ق . 5 ، بعد سقوط الوندال وقبل الغزو العربي . نرى ، على بعد مسافة من فريندا ، قبور هؤلاء الأمراء الذين نميز منهم اسمين ، ميفانياس وماسوناس ، الذي يظهر أنه كان يرادف ماسيما «rex gentium Maurorum ac Romanorum» المذكور في نقش لاتيني من حجر الروم[310] . لقد كانت الأسرة الحاكمة الأمازيغية ، مسيحية كما تظهرها الرموز وأثر الرسوم التي أخذناها من القبور المعروفة باسم الجدار والتي سبق أن ذكرها المؤرخون العرب . من المحتمل أن هؤلاء الأمراء اختفوا مع المسيحية ، خلال أولى غزوات المسلمين[311] .

309- فيرير : الوضعية الدينية لأفريقيا الرومانية منذ نهاية ق . 4 حتى الاجتياح الوندالي ، باريز ، 1897 ، في8- ؛ ديبهل : افريقيا البيزنطية ، باريز ، 1896 ، في8- ، 1 ، 3 ، القسم 2 ، الفصل الثاني ، كنيسة افريقيا تحت حكم جوستانيا ، ص . 408-449 ؛ 1 ، 4 ، القسم 2 ، الادارة البيزنطية ن ص . -503 517 ؛ مونصو ، مجلة تاريخ الأديان ، 1909 ، 2 ، ص . 1 و . . ؛ 1910 ، 1 ، ص . 20 و . .

310- Lamoricière, C. I. L., VIII, 9835

311- لابلانشير : سفر دراسة في جزء من موريطانيا السيزارية ، باريز ، 1883 ، في8- ، ص . 78-79 ؛ الآثار الجزائرية القديمة ، ج ، 2 ، ص . -418 427 ، إضافة لبيبليوغرافيا السابقة

لكن ، بخصوص نقاط أخرى ، فالمسيحية صمدت طويلا . بطرابلس ، عند أهل نفوسا التي تحفظ منطقتهم بعد بعضا من الكنائس المهدمة . في الأوراس ، عند البرانس ؛ في الّريفْ ، عند غمارا وصنهاجا . لقد رأينا أنه منذ زمن إدريس ، بمعنى أكثر من قرن بعد ظهور الإسلام في هذا البلد ، يوجد الى اليوم في المغرب الأقصى قبائل أو أفخاذ قبائل مسيحية . وهناك حيث ختم اتفاق بين الغزاة وبين السكان المحليين ، يستطيع أن يحتفظ ، هؤلاء ، طبقا للتشريع الإسلامي ، بدينهم ، إلا أن الانعزال والتصدعات الداخلية يعجلون بتدهورهم . في القرن 10 ، نحصي كذلك أربعين مطرانا . في 1054 ، في ظل ليون 9 ، لن يتجاوزوا خمسة واثنان منهم يتنازعون الرئاسة . في 1067 ، نرى من خلال مراسلات غريغوار 7 لن يزيدوا عن اثنين ، سيرياك ، أسقفي قرطاج ، وسرفاندوس ، على كرسي هيبون . يوجد كذلك مطران بقلعة بني حماد ؛ يحمل اللقب العربي : خليفة وهاجر من غير شك مع قطيعه إلى بوجي على حكم الناصر[312] . وجدت جماعة مسيحية في نفس الفترة بتلمسان ، إلا أننا نجهل إن كانت تحت إمرة مطران : في 1068 ، يشير البكري[313] إلى كنيسة بهذه المدينة يرتادها ما تبقى من ساكنة مسيحية ظلت مصانة إلى وقتنا هذا . إلى أن جرف المد الموحدي كل شيء ؛ فلم يبق من ذكرى ، إلى جانب خرافات

312- انظر . دو ماس لاتري : اتفاقيات السلم والتجارة ، باريز ، 1868 ، في4- ، 14-17 ، 18-23

313- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب ، ص . 76

مبهمة ، إلا بعض كلمات ، من بين أخرى كالخاصة بتافاسكي (عيد الفصح = Πασχα) التي تقام في الشهر الرابع عند تايتوق ، عند الهاقار ، في الشهر الثاني عشر : أفاسكو وتيفيسكو يدلان على فصل الربيع عند آووليميدن وفي تومبوكتو ، وهذا الاسم توغل حتى ديولوف بالسنغال حيث تاباسكي ديا Tabaski dya تناسب دجنبر .

(IV)

لا نملك معلومات دقيقة ، خارج روايات تعتبر أحيانا خيالية عن الغزو ، عن الطريقة التي انتشر بها الإسلام في شمال غرب افريقيا ، لكن الثابت أنه تعرض لمقاومة شديدة . الغزوات الأولى لم تزد عن إغارة خيّالة ، هدفها الأساسي هو النهب والذي تحاشى فيه العرب الأماكن القوية حيث تعتصم الساكنة المحلية وأحفاد المستعمر الروماني . الساحل ذاته ، المحمي بالجبال والموانئ الذي بقي الإغريق سادته ، مكث محترما . تأسيس القيروان من قبل عقبة يمنح وحده طابع استقرار ودواما لانتشار الإسلام ، وإن لم يكن بشكل حاسم . لقد تم طرد المسلمين لأكثر من مرة حتى الحدود الطرابلسية ، وفي هذه الحالة ، لسنا على خطأ كي نفترض أن عمليات الأسلمة التي استطاعوا انجازها لن تثبت . المؤرخون العرب أنفسهم يقرون ان الأمازيغ ارتدوا عن الإسلام اثنا عشرة مرة ونستطيع الاعتقاد أنه لو وجدوا سندا عند سلطة مجاورة ، قوية وجد منظمة ، بدلا من الإمبراطورية البيزنطية أو مملكة القوط ، لكانوا ردوا ببسالة غزوات المسلمين . لكن انقساماتهم وعزلتهم ، خصوصا بعد غزو اسبانيا من طرف موسى ، انتهت بضمان انتصار الإسلام ، وهو الانتصار الذي لم يكن حاسما ونهائيا إلا في القرن 12 .

لكن إذا ما تحولوا ، باستعمال القوة أكثر من الإقناع ، على الأقل ،

منذ المراحل الأولى ، سيمتنعون عن أن ينقلوا إلى دينهم الجديد روح الاستقلال والصراع الذي سبق أن كشفوا عنه مع المسيحية ، من خلال تبني الانقسامات مقابل التزام التقليد . إسلام الأمازيغ المسلمين سهل عند عرضه : في البداية كانوا سنيين ، لكن سرعان ما استقبلوا بحماس الأفكار التي تدعو أكثر للمساواة في الإسلام ويعلنون أنفسهم لمختلف المذاهب خوارج .

بنفس الاحساس ، عداء ضد الخليفة البعيد ببغداد ، أو القريب بقرطبة ، اختاروا حزب علي ، القطب الآخر للإسلام ، ومن بينهم انتقى إدريس بن عبد الله وفيما بعد عبيد الله أنصاره ، كي يؤسس ، الواحد في المغرب الحالي مملكة ضد أمويي اسبانيا وعباسيي بغداد ، والآخر بمهديا ، مملكة ستطرد آخر ممثلي العباسيين بإفريقية ، وكادت تقع تحت عودة هجوم للخوارج . لكن بانتصارها في آخر لحظة ، صارت سيدة إفريقيا الشمالية إضافة لغزو مصر . هنا أتى رد فعل سني للتدخل ، مدعوما بأمازيغ الصحراء الجنوبية ، قبائل لمتونا ، الذين اسلموا مؤخرا ، وكانت ثروتهم مغرية وعابرة . الأمازيغ الآخرين ، مسمودا الأطلس ، الذين واجه رؤساؤها تجسيدية المرابطين الخشنة (لمتونا) ، أسسوا خلافة ، منافسة للتي ببغداد (الخاصة بقرطبة لم يعد لها وجود والخاصة بالقاهرة في طريقها للزوال) ، لكن ، بمكوثهم أرثوذكسيين ، سيدمرون آخر بقايا المسيحية وما استطاع المقاومة من المنشقين العلويين ، في نفس الوقت الذي يوجهون فيه للخوارج الذين

وهنوا قبلا جراء صراعهم مع الفاطميين ، ضربة لن ينهضوا منها أبدا ، على الأقل بما هم دولة مستقلة .

من حينها ، بقي شمال إفريقيا ، أي الأمازيغ والمعربون منهم ، سنيا ، باستثناء بعض جماعات الصناع والمتحزبين ، الذين استقروا بمزاب ، بجبل نفوسا وبدجربا . أن أملأ الإطار الذي أتيت على رسمه سيعادل انجاز تاريخ شمال إفريقيا وبالتالي سيتجاوز حدود هذه البحث . سأمر على الأرثوذكسية عند الأمازيغ ، ولن أؤكد سوى على ما يميز إسلامهم ، أي المذاهب الخارجية ، والتي في النهاية ليست الوحيدة الملقنة ، وعلى محاولات خلق دين سيكون بالنسبة للإسلام ما كانه هو نفسه يوما بالنسبة للمسيحية واليهودية . باستثناء هذا البحث ، يجب الاعتراف أن انتفاضات الأمازيغ ، تحت راية ملة دينية ، كانت اجتماعية بالأساس وليس سببها اختلاف في الرأي أو تأويل حول ماهية العقيدة . في الواقع ، يتوفر الأمازيغ على فقهاء مجادلين وليس على عقول كبيرة في التشدد او الهرطقة ، غالبا ، ما يتشبثون بكل ما يتسم بالضيق في نص القران : أهل لمتونا أنفسهم أخذوا بالحرف التعابير القائمة على الاستعارة ليصيروا ظاهريين . هكذا من بين ، المذاهب الأربعة المتزمتة ، تبنى الأمازيغ الأكثر ضيقا ، الأقل ليبرالية ، الأكثر التصاقا بالحرف (بعد الحنبليين) ، الخاص بمالك بن أنس .

هؤلاء المحاصرون في الشرق ، منذ انهزام نهراوان وانتصار الحجاج الذي نقذ الخلافة بدمشق وخلص العراق من الخوارج ، بانقسامهم

لمذهبين ، الصفرية والإباضية هاجروا إلى الغرب ولم يجدوا صعوبة في نشر مذاهبهم عند الأمازيغ ، ضحايا جشع الحكام المسلمين . من أجل الخزينة العامة ، وبطمعهم ، لم يعملوا على إعفاء أولئك الذين تحولوا للإسلام من ضريبة الخمس (ضريبة يدفعها غير المسلمين) . الصفريون ، الذين اشتقوا اسمهم من عبد الله بن صفر ، من بني تميم ، كانوا أكثر إيغالا في المذهب الخوارجي ، ويرفضون لقب مسلم لكل من اقترف خطأ ، ولو كان بسيطا ، ومن حينها يجعلون موته ونهب خيراته أمرا مشروعا . هذا المذهب عرف انتشاره أساسا في شمال المغرب الحالي ، وخصوصا عند المطغريين والمكناسيين . وجود گراب سابق من طنجا على رأسهم ، هو ميسرا Maïsara ، الذي حاز لقب خليفة ، ما يزيد من مائتي ألف أمازيغي ، حليقي الرؤوس ، حاملين أمامهم قرآنات مربوطة الى رؤوس رماحهم ، هزموا جيوش الخليفة واستولوا على طنجا وعلى السور (122 هـ . 739-40) . بعد معركة ملغومة ، سيقتلون قائدهم ميسرا ، ليعوضوه بخالد بن احمد الزناتي . في السنة الموالية ، سيدمر لمرتين جيوشا عربية ، وهو ما قاد إلى تمرد عام بالمغرب الأوسط . انتصارات القرن والأصنام رموا ، دون تدمير ، الأمازيغ الصفريين إلى الغرب فأسس قائدهم ، أبو قراح ، دولة في منطقة مولويا . مركز الخوارج الاكثر عنادا هذا الذي لا نملك عنه إلا القيل من المعلومات التي يروجها الكتاب الأرثوذكس سيدمره الأدارسة . ولن تصمد سوى دولة صغيرة بسجلماسا في تافيلالت :

انسحابها كان في ظل الاضطراب الفاطمي العام»[314] .

لقد تشكلت مجموعة أخرى بجبل نفوسا جنوب شرق طرابلس ولن تتأخر في الامتداد حتى واحات ورغلا وإلى واد ريغ . وهي معروفة لدينا بما وفرته لنا من كتابات تاريخية ودينية . هؤلاء الخوارج سبق أن كانوا إباضيين يعودون إلى عبد الله بن عباد الذي عاش في القرن الهجري الأول . لقد تبدت هذه الجماعة متسامحة أكثر من الصفريين ومؤسسها كان على صلة بالخليفة الأموي عبد المالك . وهذه المذاهب قد تم نقلها إلى المغرب من قبل سلمى بن سعد وتاليا من قبل عمر بن ثمكاتن ، اسماعيل بن درار ، عاصم السدراتي . الأكثر شهرة من بين هؤلاء الرؤساء ، أبو الخطاب ، حاز لقب إمام وشكل دولة ستعرف تقلصا بحيث صارت إقليما ، بفعل انهزام وموت مؤسسها في 155 ه ، الأمر الذي لم يمنعها من أن تظل أحد أهم المراكز الاباضية[315] . عبد الرحمان بن رستم ، كملازم أول ، ومن أصل فارسي ، ذهب إلى تأسيس مملكة دينية بتاهرت ، والتي ضمت ، لحظة ، كل الجنوب من مقاطعة الجزائر الحالية ، جزء من وهران ، واحات قسطنطينة ، تونس الجنوبية وجزء من فيلايت الطرابلسية . لكن هذ المملكة ستقع

---

314 . انظر ملخص هذه الاحداث في ؛ دوزي : تاريخ مسلمي اسبانيا ، ليدن ، 1861 ، م . 4 في8- ، 1 ، ص . -141 156 ، -192 207 ، -238 250 . فورنيل : الأمازيغ ، م . 1 ، باريز ، 1875 ، في4- ، ص . -285 301 ، مع المصادر المذكورة ، وخصوصا للشرق Welhausen. Das arabische Reich und sein Sturz. Berlin. 47 .125-1902. in-8. p

315- حول اباضيي جبل نفوسا ؛ ثش شماخي : كتاب السير ، القاهرة ، د . ت . ، في8- ؛ دو موتيلينسكي : كتب الجماعة الاباضية ، الجزائر ، 1885 ، ص . 6-20 ، ص ، 28-33 ، 37-61 ؛ نفسه : جبل نفوسا ، بارز ، -1898 99 ، في8- ؛ ر . باصي : معابد جبل نفوسا ، باريز ، 1899 ، في8-

فريسة التقسيمات العادية عند الأمازيغ ؛ الانقسامات تناسلت : الخاصة بالنكوريين ، نتجت عن أمور شخصية وانتهت بعادة إحياء المذاهب الصفرية المتشددة ، والخاصة بالواصليين ، ذوي الميول المعتزلية (ليبرالية) : هذه الاختلافات شجعت عمل التخريب الذي قام به الفاطميون[316]

إن كان من جهة ، تبنى الأمازيغ الطابع المساواتي للأسلام بشكل مبالغ فيه ، إن كان عندهم ، الصفريون والنكوريون ورثة السيركونسيليين ، فمن جهة أخرى ، تبنى جزء منهم مذهبا مخالفا بالمرة ، والذي بعيدا عن أن يجعل من الامام القائد المنتخب بحرية من قبل الجماعة ، وعند الحاجة تقيله ، ترى فيه ليس فقط سليل النبي ، ولكن المجسد لكل الأنبياء وربما للالوهية . دخل مذهب علي الى المغرب ؛ ولمرتين ، تم تبنيه كاحتجاج ضد الخليفة الرسمي . المرة الأولى ، كان واحدا من سلالة علي ، ادريس بن عبد الله ، الهارب من فاجعة عائلته ، كي يؤسس السلالة الادريسة ويجعل من فـ-أس عاصمته تاليا . لكن لا يبدو أن المذاهب الشيعية التي يمارسها الأمازيغ في هذه الفترة ، كانت شيئا آخر غير الارتباط بهذه السلالة ؛ ستساهم في ترسيخ الإسلام بتحويل ما بقي من النصارى الذين يمكنهم الصمود وبتدمير النكوريين المتبقين في منطقة بتلمسان . فهي لم تؤثر أبدا في التاريخ الديني

316 انظر ، حول الرستميين ؛ موتيلينسكي : كتب الجماعة الاباضية ، ص . 26 28 ، ص .33-36 ؛ ماسكيراي : وقائع ابو زكرياء ، الجزار ، 1878 ، في8- ؛ البرادي : كتاب الجواهر ، القاهرة ، 1302 ، في8 ؛ موتيلينسكي : وقائع ابن صغير ، باريز ، 1907 ، في8-

للبلد ؛ ويجب أن نلاحظ فقط أنها اعتمدت قبيلة أمازيغية صلبة ، قبيلة أورابا[317] .

على العكس من ذلك ، حول المذهب الاسماعلي الإسلام بخاصة ، عن طريق إعادة إحياء ، تحت قناع التشيع المذاهب الفارسية القديمة ، ممزوجة بالمانوية والفلسفة الإغريقية . من غير المفيد القول أن طبقة الأمازيغ الذين انخرطوا لزموا الدرجات الدنيا من ارتقاء الأسرار . لقد وجد المبشر الفاطمي (الدعي) عبد الله ، عند أمازيغ المغرب الأوسط ، في القبائل الكبرى والصغرى الحاليين ، أتباعه الأساسيين وانتقى الجيش الذي سيدمر بقايا الحكم العباسي في إفريقيا ، مملكة الخوارج–الصفرية بسجلماسا ، مملكة الخوارج–الأباضية بتاهرت وكذا شبح الدولة التي عوضت المملكة الادريسية

بف–أس . جلب سقوط تاهرت تبديد الخوارج الذين كانوا قائمين : فتم ترحيل البعض إلى جاربا حيث توجد كذلك واحدة من جماعاتهم ، الآخرون فروا إلى وارغلا وإلى سيدراتا وفي منطقة واد ريغ . كان وجودهم هادئا ونما رفاههم إلى حين أتى نهب ابن غانيا وخصوصا غزوات الموحدين الذين رفعوا بمرورهم بشمال إفريقيا مستوى العقيدة الإسلامية ، إلى طردهم من هذه العزلة . إصرارهم على التشبث بإيمانهم ، دفعهم للاستقرار في منطقة جبلية موحلة ،

317- انظر بخصوص الادارسة ؛ فورنيل : الامازيغ ، ج ، 1 ، ص . 393-401 ، 418-419 ، 447-450 ، 455-466 ، 473-477 ، 495-506 ، والمصادر السابقة التي يمكن أن نضيف لها ادريس بن أحمد : الدرر البهية ، فاس ، 1324 هـ ، مجلدان ، في4-

تدعى عربيا بالشبكة[318] حيث تاه بعض الرحل الواصليين ، ذرية المزاب الذين أخذ عنهم الاسم . لجوءهم الى هذه العزلة ، التي خلقوا فيها واحات غنية ، سيتطور المهاجرون كما المارمون على ساحل بركة سلا العظيمة ، في غفلة من الحرب الخارجية ، وأسسوا أمة ، نوعا من الدولة الدينية ، التي أغنتها الفلاحة والتجارة ، ولكن التي مزقتها ، كما هي العادة دائما مع الأمازيغ ، الانشقاقات ، ليس فقط من مدينة إلى مدينة (عددها سبعة) ولكن من حي إلى حي . والسلطة الفرنسية وحدها استطاعت ، في 1882 ، أن تقيم السلم .

فريق آخر من النكوريين ظل مستقلا في الأوراس . حثه على التمرد مدرس سابق ، ولد بالسودان ، ويلقن العقائد الخوارجية في كامل صرامتها ، أبو اليزيد ، الملقب ب : مول الحمار ، فعرض للخطر ، على عهد الأمير الفاطمي الثاني ، وجود هذه المملكة التي اختزلت في لحظة إلى جدران عاصمتها ، ماهديا . غير أنه لم يتم إنقاذها إلا بجهد ، تم طرد الأمازيغ بداية ، وسحقهم فيما بعد ، فاستعادت امبراطورية الاسماعليين كل قوتها ، لتتسع بعد مدة بغزو مصر[319] . يظهر أنه ، في هذه الفترة ، حصلت نهاية وجود الخوارجية في المغرب الأوسط (استثنيت من ذلك ورغلا ، جبل نفوسا والمزاب) . فيما

318- chebka في النص ،

319- حول الفاطميين سيطرتهم على المغرب وتمرد أبو زيد ، ينظر ، فورنيل : الامازيغ ، ج ، 2 ، باريز ، 1881 ، في4- ؛ ماسكيراي : أخبار أبو زكرياء ، ص . 205-251 ؛ دو كوج : مذكرات تاريخ وجغرافيا الشرق ، ج .1 ، ليبد ، 1886 ، في8-

يخص الممالك التي توالت ، المدعومة كلها من القبائل الأمازيغية التي كانت قد خرجت منها ، المرابطون من طرف لمتونا ، الموحدون من طرف مسمودا وگوميا ، بعد ذلك بنو مرين ، بنو زيان ، بنو يمانو ، الذين حكموا في نفس الوقت ، لا يقدم تاريخهم الديني أي شيء يذكر ؛ حدث نفس الشيء مع الممالك التي قامت في المغرب الأوسط والأدنى قبل وبعد الهجمة الشرسة للهلاليين (ق . 11) .

على أيامنا ، الإسلام الرسمي وحده يسود ، ممزوجا بطبيعة الحال باعتقادات محلية في كل شمال افريقيا ، باستثناء ، كما سبق القول ، مزاب ، جربا ، وجبل نفوسا حيث يسيطر الخوارج المعتدلون من الاباضيّين . فالمزاب أساسا ، مركز الدراسات الدينية ، من يحافظ على التقليد ؛ حرص ئعزابن i'azzaben (دكاترة) على ممارسة تأثير إلى اليوم على العقول ، بالرغم من الاتصال مع الأوربيين ، يبقى أن الخوارجية فقدت قوة انتشارها كما لم تعد تمثل ارتدادا بالنسبة للمسلمين[320] . فيما يخص المذهب الممارس اليوم ، يمكن أن ننتبه بفضل الملخص الوارد في عقيدة Aqidah مؤلفة بالأمازيغية ، ستتم ترجمتها من قبل نفوسي ، أبو حفص عمر بن جامع الذي يحتمل أنه عاش في ق . 9 هـ . التعليق عليها حدث مرات عديدة واعتمدت أساسا في تأليف : كتاب معالم للشيخ عبد العزيز من ابن سغن ،

320- حول مزاب انظر ، كوين : مزاب ، الجزائر ، 1879 ، في8- ؛ روبين : مزاب وتبعيتها ، 1884 ، الجزائر ، في8- ؛ دو موتيلينسكي : غرارا منذ تأسيسها ، الجزائر ، 1885 ، في8- ؛ ماسكيراي : تأسيس الحواضر عند السكان المستقرين بالجزائر ، باريز ، 1886 ، في8- ؛ موراند : أعراف مزاب ، الجزائر ، 1903 ، في8-

مؤلف رسالة ليست أقل شهرة ، الكتاب في النيل . إنه المذهب المتبع حاليا في مزاب وجربا ، بينما في جبل نفوسا ، الخاص بطاهر إسماعيل الجيطالي ، المتوفى بجربا سنة 750 هـ . (1349-1350) . من زاوية عقائدية ، فيما يهم مبادئ الإسلام الأساسية ، فهذا المذهب لا يختلف كثيرا عن الأرثوذكسية . الاختلاف الوحيد يكمن في نقاط من القواعد المتبعة : الولائية oualâia ، الالتزام تجاه المسلمين المنتمين لنفس الجماعة ، وضدها هو برا beraa (عند مزاب تدعى تبريا) ، العقوبة ، العزل ، وكذلك ذكر ، في دروب الدين ، إلى جانب الطريق الظاهر ، تلك التي للخلفاء الأولين ، طريق الدفاع ، طريق التضحية وطريق السر التي ، استنادا على أمثلة أرثوذكسية ، تبرر سلوك الخوارج منذ بروزهم .

بقي لي الكلام على محاولتين لخلق دين كان بوده أن يكون تكملة للإسلام ، كما ادعى هذا نفسه ان يكونه بالنسبة لليهودية والمسيحية . الأولى وقعت عند غمارا بالريف ، بنواحي تيط ـوان ، بمنطقة ماجيسكا ، عند آيث وجفول . لسنا متفقين على التاريخ الدقيق لظهور الدين الجديد : فهو يتراوح بين 313 و325 هـ . ، في كل الحالات ، بداية القرن 4 هـ . ، والقرن 10 م . ؛ الثابت أن ها-ميم Ha-Mim ، ابن منّ الله (لطف الله) ، ابن هاريز ، ابن عمر ، ابن ؤوجفول ، ابن ؤزروال ، ظهر في هذه القبيلة كما بشر بدين جديد . لقد حذف ثلاثا من الصلوات الشرعية ليبقي على اثنتين ، واحدة عند

الشروق ، الأخرى عند غروب الشمس : عند انجازهما ، يلزم أتباعه السجود إلى أن يلمسوا الأرض بكفي يديهما . كما سيحذف صوم رمضان ، باستثناء الأيام الثلاثة الأخيرة ، أو بحسب آخرين ، عشرة أيام ، إلا أنه أقام صوم يوم الأربعاء من كل أسبوع إلى حدود الظهر والخميس اليوم عن آخره ، إضافة ليومين بشوال . وكل من أخل عليه دفع ضريبة من خمسة أو ثلاثة ثيران (بيضات) . ألغى الحج ، الختان والوضوء الكبير ، سمح باستعمال الحلوف ، لكنه منع السمك الذي لم يذبح (أو يفرغ) ، رؤوس الحيوانات وبيض كل أصناف الطيور . على أيامنا كذلك ، تمتنع قبيلة بنواحي تيبازا إضافة للطوارق عن تناول بيض الدجاج . لقد ألف بالأمازيغية ، لصالح أتباعه ، قرآنا : إنه على الأقل الاسم الذي يمنحه له المؤلفون العرب . وحفظت لنا منه بضعة مقاطع . واحد منها يبدأ بعبارة وحدة الله ؛ ثم تتابع : « خلصني من خطاياي ، يا أنت الذي جعلت بصري يتأمل العالم ؛ أخرجني من خطاياي ، كما أخرجت يونس من بطن الحوت وموسى من النهر» . عند السجود ، يكرر كل واحد : «أومن بتانگيت (تبدل . تالياه var. Talyah . . طيباعه Teba'ih) ، عمة ها-ميم» . كانت هذه الأخيرة عرافة كدادجّو ، أخت النبي الجديد . ها-ميم ، الذي لقب بالمفتري ، جلب العديد من الاتباع إلى أن قضى نحبه ، سنة 315 حسب البعض ، وسنة 325 حسب آخرين ، في معركة لصالح مسمودا بإقليم طنجا . ملّته لم تنته معه . فيما بعد ، تقدم عاصم بن جميل مرة

أخرى كنبي في هذه القبيلة[321] .

هناك محاولة أخرى كانت لها أهمية كبيرة . بغرب المغرب ، في تامسنا (الشّاويا الحالية التي تظم الدار البيضاء ، الرباط وشالاّ) ، حيث قامت برغواتا Berghouata .

واحد من رؤسائهم ، هو تاريف Tarif ، الذي يظهر أنه جعل لنفسه أصلا يهوديا (ابن سيميون ، ابن يعقوب ، ابن اسحاق) كان قد اعتنق ، بمعية شعبه ، المذاهب الخوارجية-الصفرية وحارب مع ميسرا Maisara . بعد انهزام الأمازيغ ، التجأ إلى تامسنا وبقي مستقلا . ظل وفيا لمذاهب الإسلام ، غير أن ابنه ، المتميز بعلمه وفضائله ، والذي حارب كذلك في صفوف الصفرية ، قدم نفسه كنبي وألف قرآنا أمازيغيا . إلا أنه ،لم ينشر مذهبه ، بل عهد به إلى ابنه ئلياس ورحل إلى المشرق ، بعد إخبارهم أنه سيعود إليهم حين يعتلي الملك السابع العرش في مملكته . وبقي دينه الجديد متواريا الى حين مجيء يونس الذي أعلنه وجعله مقبولا باللين أو الشدة من طرف السكان . يتمثل مذهب صالح ، الذي يعتبر نفسه صالح المومنين الوارد في القرآن (سورة LXVI ، آية 4) في الاعتراف بالمهمة الإلهية لكل الرسل ، وصالح نفسه من بينهم ، في صوم شهر رجب بدلا من شهر رمضان ،

321- انظر البكري : كتاب المسالك ، ص . 100-101 ؛ ابن أبي زرع : روض القرطاس ، ط . تورنبيرغ ، م .1 ، ص . 62-63 ؛ مجهول : كتاب الاستبصار ، ط . كريمر ، ص . 80 ؛ ابن عذارى : كتاب البيان ، م .1 ، ص . 198 ؛ ابن خلدون : كتاب العبر ، م .6 ، ص . 216 ؛ في النويري حاشية لتاريخ الامازيغ ، ترجمة دوسلان ، م . 2 ، ص . 492-493

إضافة ، لأيام من الأسبوع وكذلك الأسابيع الموالية ، في صلاة 5 مرات في اليوم و5 مرات في الليل ، في الاحتفال بعيد الأضحى يوم 11 محرم (وليس 12 ذي الحجة) . طريقة انجاز الوضوء كانت بدورها محددة . لا يوجد لا آذان ولا إقامة الصلاة . فهذه مرة تتم بالسجود ، ومرة بدونها : في الحالة الاولى ، يرفع المومنون جباههم وأيديهم من الأرض مسافة نصف شبر . وإحرامهم أن يضع إحدى يديه على الأخرى ويقول : أ ييسم ن ثياكوش Iakoch A esm en (بسم الله) ؛ ثم مقّور ثياكوش Mokkor Iakoch (الله أكبر) . فعن خطأ اعتقد رهط من المستشرقين أنهم وجدوا في هذه اللفظة ، أو في صيغة باكوش Bakoch ، اسم باخوس فانتهوا لاستنتاجات مذهلة عن انتشار معتقده وكذا ألغازه . لقد بين موتيلينسكي أن هذا الاسم ثياكوش مشتق من الجذر الأمازيغي ؤوكش OUKCH الذي يعني منح ؛ إنه صفة ترادف الوهاب في العربية ، كواحد من صفات الله . تتم الصلاة العمومية صباح الخميس عن آخره . حين يلفظون صلاتهم جهرا ، يجعلون كفيهما على الأرض ؛ فهم يستظهرون النصف (؟) من قرآنهم أثناء الوقوف والباقي عند السجود . عند ختام الصلاة ، يلفظون هذه العبارة في لغتهم : «الله يعلونا ؛ لا شيء مما على الأرض ولا في السماء يخفى عليه» . ثم يرددون بعد ذلك بالأمازيغية : مقّور ثياكوش ؛ بنفس القدر ئهان (يان) ثياكوش Ihan (Ian) Iakoch (الله واحد) وؤور د آم ثياكوش d'am Iakoch Our (لا أحد يشبهه) . الصدقة

الواجبة تكمن في خصم العشر من كل الحبوب . وكما هو ممنوع في دين ها-ميم ، أكل البيض ، كذلك رؤوس حيوانات والسمك إلا أن يذكّى . لحم الديك ممنوع ، هذا الحيوان يعلن عن الصلاة بزقائه ؛ الخاص بالدجاجات مكروه إلا في أقصى حالات العوز . من يكذب يطرد من البلد ؛ السارق ، إذا ثبت أمره بالحجج أو اعترف بنفسه ، تزهق روحه ؛ الدعارة تعاقب بالرجم . الدية حددت في مئة رأس ماشية . كل رجل يستطيع التزوج بما شاء من النساء الذي تسمح به طاقته ، باستثناء بنات أخيه وأخته في حدود الدرجة الثالثة ، له تطليقهم وإرجاعهم ما شاء من المرات ؛ لكن يمنع على المؤمنين التزوج بالنساء المسلمات أو منح بناتهم لمسلمين . لعاب نبيهم يجلب البركة الإلهية الوافرة كما اعتبر شفاء مؤكدا ، وهو الاعتقاد الذي يوجد إلى اليوم عند بعض مسلمي الجزائر فيما يخص الأولياء . أخيرا يبدوا أنهم كانوا أعلم الناس بالنجوم وأحذقهم بالقضاء بها . القرآن ، الذي ألفه صالح بالأمازيغية ، يشمل ثمانين سورة ، لهم في الغالب كعنوان أسم نبي . الأولى سميت أيوب (انظر . القرآن ، 83 ،XXI) ؛ الأخيرة يونس (عنوان السورة 10 من القرآن) . الأسماء تكشف جيدا أن الأمر يتعلق بتقليد للقرآن . هكذا توجد سورة فرعون (انظر . القرآن ، XLIII ، آية 45-55) ؛ وبقارون (انظر . القرآن ، XXVIII ، آية 74) ؛ وبهامان (انظر . القرآن ، XXVIII) ؛ وبياجوج وماجوج (القرآن ، XVIII ، آية 93 ؛ XXI ، آية 96) ؛ وبالدجال (نقيض المسيح ، XXVII ، آية

84) ؛ وبالعجل (العجل الذهبي ، انظر . القرآن ، II) ؛ وبهاروت وماروت (انظر . القرآن II ، آية 96) ؛ وبتالوت (انظر . القرآن II ، آية 245-250) ؛ وبنمرود ، وبالديك ، وبالحجل ، وبالجرادة ، وبالجمل ، وبالحنش ذي القوائم الثمانية ، وبعجائب الدنيا المتضمنة للعلم الأكثر سموا عندهم . إن مقطعا من سورة أيوب تم حفظه لنا في ترجمة عربية : «بسم الله ! ذلك الذي بعث الله معه بكتابه إلى الناس ، هو نفسه الذي أظهر لهم به أخباره . فقالوا : لإبليس علم الآخرة ؛ والله لم يستحسن ؛ لن يستطيع ابليس العلم كالله . سل أي شيء ينال من الألسن في الخطابات : وحده الله يستطيع ذلك بأمره . واللسان الذي بعث به الله الحقيقة للناس ، هذه الحقيقة به استقامت . انظر محمدا وعبارته بالأمازيغية (ثموني مامت= استقام لمحمد) . خلال حياته ، أولئك الذين كانوا أصحابه عرفوا بالاستقامة إلى أن مات . ففسدت الناس ، كذب من قال تنهض الحقيقة حيث لا يوجد مبعوث الله» . تصدى البرغواثيون طويلا وبنجاح لمختلف السلالات التي توالت على المغرب ولم ينقطع مذهبهم إلا مع الموحدين[322] .

هل يمكن النظر إلى اعتقادات الزكّاريين Zekkara ، الذين يقطنون المغرب ، غير بعيد عن الحدود الجزائرية بين آيث ئزناسن وآيث بوزگّو وآيث يعلى ، على أنها مشتقة من واحد من هذه المذاهب أو من

322- انظر حول بورغواتا ، البكري : كتاب المسالك ، ص . 134- 141 ؛ ابن أبي زرع : الروض القرطاس ، ص . 82-84 ؛ ابن عذارى : كتاب البيان ، ص . 231-236 ؛ ابن خلدون : كتاب العبر ، م 6 ، ص 210-287.

مذهب مماثل ؟ المخبرون ، الذين نقضت مزاعمهم بشكل واضح ، أكدوا ليس فقط على اعتداء مطلق ضد المسلمين ومعتقداتهم ، بل وأظهروا لامبالاة تامة تجاه كل أصناف المعتقدات . كنا إلى حد رؤيتهم وضعيين ، ما داموا يدعون ، بخصوص المذهب ، ارتباطهم بالولي المشهور ، سي احمد بن يوسف[323] ، دفين ميليانا . الأنساق المغامرة بإفراط صارت محترفة ؛ كما كنا شاهدنا حتى الدوروز Druses . . وقبل المغامرة بأي شيء حول هذا السؤال ، من المناسب انتظار انجاز بحث موجه بدقة ؛ ربما وجدنا أن الأمر يتعلق بقبيلة بقيت ، بفضل انعزالها ، في الحالة التي يوجد عليها الجزء الأكبر من إفريقيا الشمالية ، في فوضى القرن 15 و16 ، حين نجح الدعاة المسلمين في إعادة إحياء الإسلام المختزل إلى حالة ذكرى مبهمة .

خميسات ، 22 ماي 2010 م/ 2960أ

323- موليرا : قبيلة زيناتا الضد-مسلمة بالمغرب ، باريز ،1905 ، في8-

قاموس

الكلمة	مرادفها
أمزداغ	مواطن
الزَاويت	مكان تعبد
تينيريفي	المتعلقة بالعطش أي الصحراء
تانيث	ربة الخصوبة والسماء
الأطلس	الذي يخفي النهار ويسمي الجبل
أزكر	ثور
غاط	معزة
تيڤدي	كلبة
اللامات	مواسم
للالا	سيدتي
ثفري	مغارة وكهف
حلوف	خنزير
بومرزوك	المالح
أمساگا	تفاهم
المور	بلاد المغرب
تبانكا	قطعة لدائن للحماية
غورزيل	قبيح
أيوز	هلال وشهر
توفات	الصبح
أضار	قدم
ثهنكاض	غزلان
تالمت وتالغمت	ناقة
تاغرضمت	عقرب سامة
تازييت وتازدايت	نخلة
تيگناو	جو وسماء
أبكاس	حزام
أبشي	فرج

الكلمة	مرادفها
ثاسليت	عروسة
أجنا	السماء
أنزار	مطر
آغندجا	ملعقة ضخمة
تيط	عين
أكادير	جدار ومخزن
ثدّير	حي وإلاه
آمون	رب الرياح المصري الأمازيغي ؛ معاشرة
بوزيديون	رب الزلازل وخالق الحصان
ضايث	بركة وبحيرة
ياكوش	الله والرب
تسريال ، ثاغزانت	مستبدة وغولة
ثازروالت	قبيلة ، زرقاء
تيگمّي	المنزل والبيت
أمقران	الكبير
الرّيف	قبائل بالشمال تتحدث الريفية
المرينيين	سلالة حكمت المغرب في 1269
كاهينا أو ديهية	حاكمة الاوراس ومقاومة
الموحدي	نسبة للموحدين سلالة (1147-1269)
طنجا	مدينة بالشمال أي العالية
مولويا	نهر بالشمال
الأدارسة	سلالة حكمت المغرب (788-985)
الفاطميون	سلالة تلت الادارسة
السيركونسيليون	المحيطون بمستودع الحبوب
مول	صاحب
بني هلال	مرتزقة استعملت للقضاء على المعز الباديسي



روني باصي

سيمر قرن على صدور هذا البحث في طبعته الأولى من طرف الباحث الفرنسي روني باصي René Basset في سلسلة تاريخ الأديان؛ إلا انه من النادر أن تجد له ذكرا في أبحاث علم الاجتماع السياسي، حتى ان السكوت عنه لن يعود سوى لعنوانه التأسيسي، لكونه يتحدث عن دين الامازيغ بالضبط؛ وأما المحتويات فتوفرها جملة من المتون القديمة، وان بشكل متفرق، يحرمها من أن تشكل عنوانا واسما مستقلا على النحو الذي قام به باصي؛ التدين الامازيغي سيكون إذن شأنا محرما التطرق إليه على غرار ثقافتهم التي ظلت تكابد وتعاني الإقصاء مادام أنها كانت مدفوعة لكي تخرس حتى تفنى وتزول وينتهي أمرها خاصة وقد اعتبرت "ميتا" أو أقل أي مجرد "ابتكار"، وهذا تناقض مفضوح يكشف عن خلفية الصراع المبكر القائم بين من سيرفعون نفسهم "وطنيين" لأنهم متعلقون "باللغة العربية الفصحى وبالإسلام"، وبين من ابتكرتهم وبعثتهم الإدارة الاستعمارية بعد أن كانوا مواتا، لتجعل منهم شعبا وتمنحهم "ثقافة شعبية".

حمو بوشخار

الثمن: 20 درهما